الجزء الرابع

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة

رحمه الله وأسكنه

الفردوس أعلا

آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾

﴿ لطلبة السنة التاسعة ﴾

﴿ طبع بمطبعة ﴾

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾

﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى ﴾

﴿ بمصر ﴾

﴿سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) أمال أبو عمرو الهاء لان ألفات أسماء التهجي يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وأبو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها (ذكر رحمت ربك) خبر ماقبله ان أول بالسورة أو بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر (عبده) مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد (زكريا) بدل منه أو عطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا) لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء أشد اخباتا وأكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أو لان ضعف الهرم أخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب انى وهن العظم منى) تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن وأصل بنائه ولانه أصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن ووهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث (واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد (ولم أكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعوله وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالاجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه (وانى خفت الموالى) يعنى بنى عمه وكانوا أشرار بنى اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته و يبدلوا عليهم دينهم (من ورائى) بعد موتى وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالى أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى وقرئ خفت الموالى من ورائى أى قلوا وعجزوا عن اقامة

(قوله لان ألفات أسماء التهجي يا آت) لانهم قالوا الألف فى الاسماء المتمكنة لا تقلب الا عن واو أو ياء قال العلامة الطيبى من جعل أصله الياء أمالها ومن فخم تصور ان عين الفعل منقلبة عن الواو كالباب والدار لان الالف اذا وقعت عينا وجهلت حالها فالواجب أن يعتقد انها منقلبة (٢) عن الواو (قوله فانه مشتمل عليه) ان أول كهيعص بالسورة أو القرآن يكون مشتملا على ذكر زكريا فيصح أن يجعل خبرا له توسعا والتقدير فيه ذكر زكريا (قوله على أن الرحمة فاعله على الاتساع) بان يكون اسناد الذكر الى الرحمة مجازا عقليا (قوله بدل منه أو عطف بيان له) فالاول بتقدير أن يكون العبد غير مقصود بالذكر بل المقصود زكريا والثانى على تقدير العكس فان المحققين قالوا فى الفرق بين البدل أى بدل الكل وعطف البيان انه ان كان ذكر المتبوع مقصودا بالذات فالتابع بيان وان كان الامر بالعكس فالتابع بدل (قوله قال رب انى وهن العظم منى) قال علماء المعانى انما لم يقل وهن عظمى ليكون تفصيلا بعد الاجمال ويمكن أن يقال لو قيل كذلك لم تكن فيه اللام المفيدة للاشارة الى الجنس (قوله ثم أخرج مخرج الاستعارة) أى أخرج الاشتعال مخرج الاستعارة بان يراد بالاشتعال الانتشار والفشو (قوله مبالغة) لافادة ان اشتعال الشيب يفضى الى اشتعال الرأس (قوله واكتفى باللام عن الاضافة الخ) أى لم يقل رأسى لما ذكر (قوله على أن المدعوله) المراد من المدعوله وجود يحيى (قوله وهو متعلق بمحذوف) وهو فعل المقدر المضاف الى الموالى فيكون فى قوله أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى لف ونشر مرتب (قوله أى الذين يلون الامر من ورائى) فيكون الظرف متعلق بيلون لا بخفت لانه لا معنى للخوف بعد الموت

الدين بعدى أوخفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) فان مثله لايرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لاتصلح للولادة (وليا) من صلبى (يرثنى ويرث من آل يعقوب) صفتان له وجزمهما أبوعمرو والكسائى على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أوعمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد (واجعله رب رضيا) ترضاه قولا وعملا (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر أنه أعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيى به رحم أمه أولان دين الله حيى بدعوته (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا فى المفاصل وأصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقرا اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) أى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين

(قوله فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت) ظاهره انه يتعين ذلك التعلق ولايصح جعله متعلقا بالموالى لانه لو كان كذلك لكان المعنى انه درج الذين كانوا يلون الامر من قدامى وليسوا كذلك لانهم لم يكونوا يلون الامر وفيه نظر لان هذا المحذور لازم سواء كان الظرف متعلقا بالموالى أو بخفت فالوجه أن يقال ان الظاهر أن يكون الظرف متعلقا بالفعل لكن لما كان على التقادير السابقة لاوجه لجعل الظرف متعلقا به اذ لامعنى لخفت من ورائى اذ لاوجه للخوف من بعد الموت فيكون متعلقا بالموالى أو بمقدر وأما على هذه القراءة وهو قراءة خفت بمعنى قلت فيصح أن يكون الظرف متعلقا به فالاولى الاقتصار عليه (قوله صفتان له) فان قيل كيف يكونان صفة لولى والحال أن يحيى قتل قبل زكريا عليهما السلام على ماذكر فى التواريخ المعتبرة فلزم عدم استجابة دعاء زكريا فى الوراثة وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم كل نبى مجاب قلنا استجابة دعاء الانبياء ليس عاما فى كل دعوة قال العلامة الطيبى الصحيح ان الانبياء ان كانوا مستجابى الدعوة لكن ليس كل ما دعوه استجيب لهم لان قضاء الله لايدفع ألا ترى الى ابراهيم ودعائه فى أبيه والى دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على ماروينا عن الترمذى والنسائى عن خباب بن الارت انه قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قبل قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنين ومنعنى واحدا (قوله وأويرث بالتصغير) فان قيل يجب أن يكون تصغير ولرث وايرث بتقديم الواو على الهمزة لاأويرث بالعكس فان الواو مقدم فى الاصل فيجب أن يكون التصغير كذلك قلنا ان قاعدة التصغير ان ألف اسم الفاعل فى ضارب مثلا قلبت الى الواو فيقال فى تصغير ضارب ضويرب فيكون تصغير وارث وويرث لكن قاعدة الصرف ان الواوين المتحركين اذا اجتمعا فى أول الكلمة قلبت الاولى همزة فيقال فى تصغير واصل أويصل (قوله لانه جرد عن المذكور أولا) اذ التقدير يرثنى به أومنه وارث من آل يعقوب هكذا قدره العلامة الطيبى فجرد عن الولى الذى هو المذكور وارث مع ان المراد من الوارث هو الولى فكأنه جردوا خرج عن شخص شخصا آخر (قوله لان المماثلين يتشاركان فى الاسم) أى اسم الجنس الذى يشتركان فيه (قوله وانما استعجب الولد الخ) استعجابه لما ذكر دال على أن الايلاد ليس من شأنهما فيكون محض القدرة وليس للاب والام مدخل فى الولادة بل يمكن وجود الشخص من غير الابوين لانه لافرق بين حصول الولد من الابوين اللذين ليس من شأنهما الايلاد وبين حصول شخص من غير الابوين فدل هذا على الغاء الوسائط اذ لافرق بين الاب والام اللذين هما واسطة الولد وبين غيرهما من الوسائط (قوله ويجوز أن يكون الخ) هذا على تقدير أن يكون فاعل قال الاولى الملك فيكون المعنى قال الملك ربك قال ذلك القول (قوله وذلك اشارة الى مبهم الخ) هذا متفرع على قوله ويجوز أن يكون الخ

(قوله وهو علي ذلك يهون علي) أي هو مع ذلك أي حصول ولدك مع ما ذكر من كبرك وعقر امرأتك يهون علي (قوله أو كما وعدت وهو علي هين الخ) ان قيل الظاهر انه زائد اذ يلزم منه التكرار ولا يناسبه قوله وهو على ذلك يهون علي وفي الكشاف المعنى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي أو يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله وهذا يؤيد ما ذكرنا فالجواب أن المراد انه على تقدير أن يكون المعنى ان الامر كما وعدت يمكن أن يفسر قوله وهو علي هين بالتفسير الاول و بالتفسير الثاني أيضا وأما اذا كان المعنى ان الامر كما قلت يكون معنى قوله تعالى وهو علي هين المعنى الاول فتأمل (قوله ومفعول قال الثاني محذوف الخ) على التقدير الاول تقدير وجود الواو والتقدير قال ربك هو علي هين حذف لدلالة المذكور عليه (قوله وفيه دليل الخ) هذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (قوله علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به) الظاهر ان المراد بما بشرتني به الحبل وكذا فسر في سورة آل عمران (قوله سوى الخلق) فيكون حالا من فاعل تكلم (قوله من المصلى أو من الغرفة) بيان للمحراب (قوله وقيل النبوة الخ) قال الامام الاقرب هذا أي تفسير الحكم بالنبوة لانه تعالى ذكر مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح لا ارتياب ان أشرفها النبوة فوجب حمله عليها و روى الواحدي عن ابن عباس ان الحكم النبوة

أي الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون علي أو كما وعدت وهو علي هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك (قال رب اجعل لي آية) علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن (فخرج على قومه من المحراب) من المصلى أو من الغرفة (فأوحى اليهم) فأومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض (أن سبحوا) صلوا أو نزهوا ربكم (بكرة وعشيا) طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح و يأمر قومه بان يوافقوه وأن تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة (يا يحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة أحكم الله عقله في صباه واستنبأه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه أو رحمة وتعطفا في قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب أو صدقة أي تصدق الله به على أبويه أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصي (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا أو عاصي ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذكر في الكتاب) في القرآن (مريم) يعني قصتها (اذ انتبذت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمتك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة (من أهلها مكانا شرقيا) شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى أتت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترا (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت اني أعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فاني عائذة منك أو فتتعظ بتعوذي أو فلا تتعرض لي ويجوز أن تكون للمبالغة أي ان كنت تقيا متورعا فاني أتعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما أنا رسول ربك) الذي استعذت به (لأهب لك غلاما) أي لأكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة أبي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من

(قوله لان المراد بمريم قصتها الخ) فيكون التقدير واذكر في الكتاب قصة مريم انتباذها من أهلها في الزمان المذكور (قوله كقولك أكرمتك اذ لم تكرمني) يعني أكرمتك لان لم تكرمني أي لعدم اكرامك اياي للرد عليك (قوله أو ظرف لمضاف مقدر) أي واذكر في الكتاب حال مريم اذ انتبذت (قوله ويجوز أن يكون حكاية لقول الله عز وجل) والتقدير قال ربك أرسلت الرسول اليك لأهب لك ومحصول الكلام ههنا ان فاعل الهبة المذكورة ليس جبريل حقيقة بل هو الله تعالى فاما أن

الذنوب

يكون أهب مجازا أو يكون على الحقيقة ويكون قول الله عز وجل (قوله لانه للمبالغة أو للنسب كطالق) التعليل الثاني ظاهر لانهم قالوا اذا لم يقصد باسم الفاعل الحدوث بل قصد به الاطلاق فهو بمعنى النسبة وان كان على صورة الفاعل كلابن وتامر ولا تدخله التاء لان الدخول على الصفة فرع الدخول على الفعل فاذا كانت الصفة بمعنى الحدوث كانت بمعنى الفعل فدخلت عليها التاء واذا لم يقصد بها الحدوث لا تكون مشابهة للفعل فلم يدخل عليها التاء وأما التعليل الاول ففيه نظر (ه) اذا التاء تدخل على بناء المبالغة كعلامة ونسابة

الذنوب أو ناميا على الخير أي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه أما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله (ولم أك بغيا) عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو للنسب كطالق (قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله) أي ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده (وكان أمرا مقضيا) أي تعلق به قضاء الله في الازل أو قدر وسطر في اللوح أو كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة (فحملته) بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) فاعتزلت وهو في بطنها كقوله

* تدوس بنا الجماجم والتريبا *

والجار والمجرور في موضع الحال (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار (فأجاءها المخاض) فألجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أو للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتني مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته (منسيا) منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن في نادى ضميرا أحدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة (ألا تحزني) أي لا تحزني أو بان لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (وهزي اليك بجذع النخلة) وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والامالة به أو هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى

والجواب ان التاء الداخلة في مثل علامة ونسابة ليست للتأنيث وانما هي تأكيد المبالغة وكلامه في تاء التأنيث واعلم أن المفهوم من كلامه ان تاء التأنيث لا تدخل على صيغة المبالغة ولعل سببه ان دخول تاء التأنيث على الصفة كما ذكر لاجل مشابهة المشتق للفعل ولكن الفعل لا يفيد المبالغة فالصفة التي تفيد المبالغة لا تشبه الفعل كمال المشابهة فلا تدخل التاء للتأنيث كما لا تدخل التاء على الصفة التي لا يقصد بها الحدوث بل النسبة كما مر (قوله تدوس بنا الجماجم) الجمجمة عظم فوق الرأس والتريب عظم الصدر أي تدوس خيولنا جماجم الاعداء وترائبهم ونحن على ظهورها والمعنى ههنا فانتبذت ملتبسة به أي انتبذت وهو في بطنها (قوله لكن خص به في الاستعمال) أي خص أجاء بألجأ أي الاستعمال كآتى فانه مخصوص باعطى ولا يقال آتيت المكان وآتيه (قوله وكانت كالمتعالم عند الناس الخ) لا يخفى ان المعهود هو الذي يكون معهودا بين المتكلم والمخاطب لكن النخلة ليست كذلك اذ هي ليست معهودة بين الذي هو المتكلم وبين الذي هو المخاطب لكنه أجرى عليه الحكم للعهد اذ لما لم يكن غيرها في ذلك الموضع فكأنها معهودة والاولى أن يقال المعهود بمعنى المعروف المعلوم ويؤيده قوله فكانت كالمتعالم عند الناس فكأنه قيل فأجاءها المخاض الى جذع النخلة التي عرفها الناس وتعينت عندهم بسبب من الاسباب (قوله ينسؤه أهله) أي يدفعه (قوله منسي الذكر) فالاول من شأنه أن لا يذكر وهذا يحتمل أن يكون مذكورا والثاني ما لا يذكر أصلا (قوله أي لا تحزني) فتكون أن مفسرة (قوله بان لا تحزني)

أسقطت وقرئ تتساقط ونسقط و يسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع (رطباجنيا) تمييز أو مفعول روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قادر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) أى من الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما أحزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه (فاما ترين من البشر أحدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به أو صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم (فلن أكلم اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذرى وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أخبرتهم بنذرها بالاشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فانه قاطع فى قطع الطاعن (فأتت به) أى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) أى بديعا منكرا من فرى الجلد (ياأخت هرون) يعنون هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش (فأشارت اليه) الى عيسى عليه الصلاة والسلام أى كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار (قال انى عبد الله) أنطقه الله تعالى به أولا لانه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا (أينما كنت) حيث كنت (وأوصانى) وأمرنى بالصلاة

على تقدير أن تكون ان ناصبة (قوله لما فيه من المعجزات) أى لما فيما ذكر لا يخفى أن المعجزة أمر خارق مقرون بالتحدى ولا تحدى فى ذلك الوقت فالاولى أن يقال لما فيهما من الارهاصات (قوله بعد أن أخبرتكم بنذرى) لك أن تقول هذا من جملة التكلم مع الانسى بعد نذر عدم التكلم فلزم نقض النذر الا أن يقال هذا عندهم من تتمة النذر أو يقال هذا مستثنى للقرينة العقلية لانها لو لم تخبر لكان موجبا لصرف الناس عنها لعدم جوابها الكلامهم (قوله وكان زائدة) انما حكم بزيادتها لاتهاد الة على أنه صبى قبل ذلك الزمان لا فى الحال وليس كذلك بل هو فى الحال المذكور صبى وعلى هذا فالظرف وهو قوله فى المهد متعلق بيكون ليفيد الحالية لكن يرد هذا على ما ذكره من كونها تامة واعلم انه ذكر هذا الترديد الذى لم يذكره صاحب الكشاف وترك شيأ ذكره ترفع به الشبهة قال ان كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريب بالقرينة خاصة وتوضيح رفع الشبهة بان يقال ان لفظ كان يفيد المبالغة لانه اذا لم يصح التكلم مع من كان فى الزمان الماضى صبيا فالاولى أن لا يصح مع من يكون فى الحال صبيا واعلم انه نقل العلامة الطيبى عن الزجاج ان الاجود أن تكون من بمعنى الشرطية أى من يكن فى المهد صبيا كيف نكلمه قال ابن الانبارى هذا كما يقال كيف أعظ من لا تقبل موعظتى أى من يكن لا تقبل موعظتى فالماضى بمعنى المستقبل فى باب الجزاء واعلم ان الشبهة واردة فيما اذا كانت تامة كما هو مردود فيه ما مر واما جعلها دائمة فالاشكال ظاهر لان المراد من الدوام الدوام فى جميع الازمنة كما صرح به ابن الحاجب حيث قال كان تكون ناقصة لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا ولا وجه للدوام بهذا المعنى ههنا (قوله لانه أول المقامات) أى كون الشخص عبد الله من أول مقامات الكاملين لانه عبارة عن كون العبد مطيعا لاوامر الله ونواهيه ولا يتجاوز عنه أصلا (قوله وللرد على من زعم ربوبيته) الاولى أن يقال للرد على من زعم انه ابن الله فتأمل وقال الشيخ الكامل فى الفتوحات ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة فالملأ الاعلى يقول أتجعل فيها من يفسد فيها والمعصوم من العبث يقولون ربنا ظلمنا أنفسنا ويقولون رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ويقولون ان تهلك هذه العصابة فلن

تعبد فى الارض من بعد اليوم وهذا كلمة استعجال لكون الانسان عجولا لهذه عبارته و يفهم منه ان العبودية أن لايتصرف الشخص بنفسه ولايدعو شيأ ولا يستفهم شيأ بل فوض الامر كله الى سيده فعلى هذا اذا كان الشخص على هذه الحالة فى بعض الاوقات دون بعض كان عبدا فى تلك الحال دون غيرها وان كان على تلك الحال فى جميع الاحوال والاوقات كان عبدا فى جميعها لكن كون الشخص عبدا فى جميع الاوقات لايعرف بل لعله لم يكن فان أكابر الملأ الأعلى والمعصومين فترت عنهم العبودية المحضة كما ذكر الشيخ فان قيل الطائفة المهيمون عباد محضة لانهم لم يتكلموا بشئ من قبل هذه الأمور بل تهيموا فى تجلي الله تعالى حتى غفلوا عن ذواتهم مطلقا ولم يعلموا غير الله تعالى قلنا العبد المحض من عرف الاشياء لكن لم يتصرف فيها بشئ تفويضا للامر الى الله تعالى (٧) وأما المهيمون فليس لهم تفويض الامر بل فى عز الجبرياء والكبرياء والله أعلم (قوله ويؤيده القراءة بالكسر والجر) أى يؤيد ماذكر قراءة برا بهما أى بكسر الباء وجر الآخر ووجه التأييد انه على تقدير الجر متعلق بأوصانى فهو يناسب نصبه بفعل دل عليه أوصانى (قوله والتعريف للعهد) أى السلام الذى كان على يحيي يكون علىّ ومن هذا يعلم تولد يحيي قبل عيسى عليهما السلام (قوله حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه) فانهم وصفوا عيسى بانه ابن الله وماذكر الله تعالى انه خلق من مريم بسبب جبريل وهو عبد من عباده ونبيه وغير ذلك ثم عكس الحكم أى حكم بعكس ماذكروه فى أمر عيسى بان هذا الموصوف عيسى فانه عكس ماذكروه من أن هذا الموصوف ليس عيسى

(بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل (مادمت حيا وبرا بوالدتى) وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصانى أى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما هو على يحيي والتعريف للعهد والاظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لامايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف أى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم فان من اذا أراد شيأ أوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق الى الحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى أوفرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وأمه (أسمع بهم وأبصر) تعجب معناه أن أسماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم

(قوله أو لتمام القصة) أى لآخرها وهو قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم (قوله مصدر مؤكد) أى مصدر مؤكد لمضمون جملة ذلك عيسى بن مريم (قوله ولان) فيكون معطوفا على قوله تعالى اذا قضى اذ كانه قيل ما كان لله أن يتخذ من ولد لانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ولان الله ربى وعلى هذا يكون معنى الكلام قل يامحمد ما كان لله أن يتخذ من ولد فان قيل كون الله رب كل شئ والامر بعبادته لاينافى اتخاذ الولد قلنا لاخفاء ان المقصود الامر بعبادته دون غيره ولو كان له تعالى ابن لوجب عبادته أيضا كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قوله أو التهديد بما سيسمعون) فعلى الاول التعجب من سماعهم وابصارهم يوم يأتوننا وعلى الثانى سيسمعون ويبصرون يوم يأتوننا فهذا تخويف لاهم سيسمعون ويبصرون أمورا عظيمة كما قال

ولتعلمن نبأه بعد حين فان قيل لا يفهم من المعنى الذي ذكره أولا وثانيا كون الجار والمجرور فاعلا بل المراد على الاول ان شأنهم أن يتعجب الناس من اسماعهم وابصارهم وقس عليه المعنى الثاني قلنا أراد أن الجار والمجرور كان فاعلا في الاصل فان أفعل بزيد على مذهب سيبويه فعل وفاعل والباء زائدة ولا يلزم أن يكون فاعلا نظرا الى المعنى المراد كما أن في ما أحسن زيدا

ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذ قضي الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بانذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة للتعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردون للجزاء (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) ملازما للصدق أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا (لابيه يا أبت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك (ولا يغني عنك شيئا) في جلب نفع أو دفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال (يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك أو ثابتا في موالاته فانه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همته في الربانية أو لانه ملاكها

زيدا مفعول في الاصل لكن اذا قصد معنى التعجب لم يكن كذلك ولذا قال بعضهم ان التقدير المذكور لتمهيد الاعراب أي لتسهيل طريقة الفهم في الاصل قبل النقل الى التعجب لا لبيان انها بذلك المعنى في هذه الحال لانها الآن لانشاء التعجب والحاصل انه اذا اعتبر أن الصيغتين المذكورتين كانتا في الاصل على الاعراب المذكور ثم نقلتا الى معنى التعجب يكون بهم فاعلا نظرا الى المعنى الاصلي على ما هو مذهب سيبويه كما مر وأما اذا لم يعتبر معنى التعجب كان بهم مفعولا (قوله والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع الخ) المراد من الاول الوجهان المذكوران أولا ومن الثاني ما قاله بقوله وقيل لان المعنى حينئذ أسمعهم وأبصرهم (قوله حال متعلقة بقوله في ضلال مبين) أي كائنون فيه حال كونهم في غفلة (قوله بدل من ابراهيم على هذا التقدير) لم يكن اذ ظرفا بل لمجرد الزمان فاما على التقديرين الاخيرين فهو ظرف (قوله لا يقال يا أبتي) لاجتماع العوض والمعوض وأما يا أبتا فهو باشباع فتحة التاء (قوله فانه أو أكبر الخ) أي موالاة الشيطان ورضاه أكبر من كل واحد من العذاب لان رضاه منشأ كل سخط وعذاب كما ان رضوان الله تعالى منشأ كل نعيم وثواب (قوله اما للمجاملة) أي لحسن العشرة والمخاطبة فان الخوف عدم الجزم بالعذاب وهو يفيد ما ذكر

أولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلاظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتى ببابنى وأخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال (لئن لم تنته) عن مقالك فيها أو الرغبة عنها (لارجمنك) بلسانى يعنى الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد منى (واهجرنى) عطف على ما دل عليه لارجمنك أى فاحذرنى واهجرنى (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أى لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربى) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره فى سورة التوبة (انه كان بى حفيا) بليغا فى البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بدينى (وأدعو ربى) وأعبده وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وأن ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أولانه أراد أن يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) وكلا منهما أو منهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه)

وكذا المس وتنكير العذاب يدل بحسب الظاهر على الخفة والقلة (قوله أو لخفاء العاقبة) يعنى يمكن ان ابراهيم لم يعلم فى ذلك الوقت عاقبة حال أبيه وان العذاب لاحق به ألبتة ولذا قال أخاف ولم يعلم ان عذابه عظيم أولا لكن الغالب على الظن ان مثل أبيه لا يخلو من عذاب ما على أى حال فلذا قال بالمس وتنكير العذاب (قوله ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته الخ) أى لم يذكر انه عدو لبنى آدم ومغويهم بر يد دخولهم فى النار وغير ذلك بل اقتصر من جناياته وقبائح أعماله على مجرد العصيان للرحمن لارتقاء همته فى الربانية أى لتعلق همة ابراهيم بالرب تعالى وما يتعلق به دون أحوال بنى آدم أولانه ملاكها أى لان العصيان ملاك الجنايات أولانه من حيث انه الخ أولان العصيان نتيجة معاداته آدم لان عصيانه ترك السجود مع الامر به فذكر ابراهيم عليه السلام ان الشيطان عدو لآدم وأولاده فلا ينبغى ان يتبعه (قوله لانكار نفس الرغبة) لان الانكار يتوجه الى ما يلى الهمزة (قوله وان ملاك الامر خاتمته) وهو ليس بمعلوم اذ الانبياء عليهم السلام يعلمون الاشياء بالوحى ولعل هذا الامر غير معلوم فى تلك الحالة وان كان كلهم مأمون العاقبة (قوله والمراد باللسان ما يوجد به) أى الكلام الذى يوجد باللسان وصدر منه (قوله واضافته الى الصدق الخ) لانه اذا كان ثناؤهم صادقا وعليها كانوا أحقاء بما ذكر وما هو صادق على يثبت بقاؤه على مرور الدهر (قوله فانبأهم عنه) أى المراد من قوله تعالى نبيا أنبأ صفات الله تعالى وشرائعه للمبعوث اليهم (قوله ولذلك قدم رسولا مع انه أخص وأعلى) أى قدم رسولا على نبيا لما ذكر وهو ان كونه رسولا مقدم على انبائه للخلق مع ان الرسول أخص من النبى اذ كل رسول نبى ولا عكس وكذا الرسول أعلى من النبى اذ الرسول يشتمل على كمالات النبى لانه نبى وكونه أخص وأعلى يقتضيان التقديم من وجه ويمكن أن يقال انه قدم رسولا على نبيا لما ذكر مع ان الرسول أخص من النبى وأعلى وهذان يقتضيان تقديم النبى على الرسول من وجه آخر اذ يقال عالم نحرير ولا يقال نحرير عالم (قوله بان تمثل له الكلام من تلك الجهة) أى من الجهة التى فيها اليمين أعم من أن تكون يمينا هى جهة حقيقية معينة أولا وفيه غاية ايهام والاولى أن يقال من ناحية اليمنى أو من جهة الميمون لان كلامه تعالى لا يختص بجهة دون جهة كما ان صاحب الكلام كذلك وسيجيء فى تفسير سورة طه فى كلام المصنف انه قيل لما نودى قال من المتكلم قال انى

تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روى أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا (أخاه) معاضدة أخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من أهلى فانه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف بأشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكوة) اشتغالا بالاهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامة أقواله وأفعاله (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبى نوح عليهم السلام واسمه أخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة (أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس عليهم السلام (الذين أنعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعم من الانبياء وأخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (وممن هدينا) ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع مالهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبى عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (أضاعوا الصلوة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

أو جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم يستعيذ منه أوديتها (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية فى الكفرة (فأولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل (ولا يظلمون شيأ) ولا

أنا الله فوسوس اليه ابليس لعل تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله بانى أسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وهذا القول يقوى الوجه الثانى بل يعينه (قوله أو بدل) أى بدل من المقدر اذ التقدير ووهبنا له شيأ من رحمتنا فيكون أخاه بدلا من شيأ وان كان ظاهر عبارته يفيد ان أخاه بدل من الحرف الذى هو من الذى للتبعيض الا أن يقال ان من التبعيضية اسم كالكاف بمعنى المثل لكن ما رأيناه فى كلامهم (قوله عطف بيان له) انما اختار هذا على البدل لان أخاه مقصود بالذات لان عظم النعمة بجعل أخيه نبيا لا بجعل الشخص المسمى بهارون نبيا فهذا من دقائق العربية

يقصون شيأ من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف اليه بقوله (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى وعدها اياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الله (كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أتى اليه احسانا أى مفعولا منجزا (لا يسمعون فيها لغوا) فضول كلام (الا سلاما) ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى أن التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد (وما نتنزل الا بأمر ربك) حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بأمر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم أى وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له أن ينساك أو أعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد

علم أى في حكمه لان تعريفها بسبب علمية ما تضاف هي اليه (قوله أو علم للعدن بمعنى الاقامة) فعلى الوجه الاول يكون العدن علم الشخص الذى هو الجنة المخصوصة وعلى الثانى يكون علم الجنس (قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك الآية) فان قلت ما وجه الارتباط بين هذه الآية وبين ما تقدم عليها قلت والله أعلم لعل وجهه انه لما ذكر حال طوائف بنى آدم من النبيين والعاصين والتائبين أو المتقين ناسب أن يذكر حال باقى ذوى العقول من الملائكة بالنسبة الى خالقهم وقال بعضهم في وجه الارتباط تلك الجنة وان كانت من خلق الرحمن لحقها ان يرحم بها مقيم الصلاة وتاركها ومتبع الشهوات ومجتنبها هى التى نفرت من غير المتقى من عبادنا وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا من كان تقيا ٧ فانه يأخذ نسبته وتصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة ولا يبعد التخصيص في الرحمة العامة مع وقوعه في الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على الانبياء ولا يعم جميع أوقاتهم بل اختص ببعضها وما نتنزل الا بأمر ربك هذا كلامه ولا يخفى ما فيه من التكلف البعيد (قوله وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات) أى الصبر يتعدى بعلى دون اللام فتعديته ههنا باللام لاجل تضمن معنى الثبات وكأنه قيل اصبر ثابتا لعبادته

والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك (هل تعلم له سميا) مثلا يستحق أن يسمى الها أو أحدا سمي الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أي اذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها (ويقول الانسان) المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي بن خلف فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في ياالله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع أن الاصل أن يتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل (فوربك لنحشرنهم) أقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والشياطين) عطف أو مفعول معه لما روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم) ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم (جثيا) على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل أمة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم (ثم لننزعن من كل شيعة) من كل أمة شاعت دينا (أيهم أشد على الرحمن عتيا) من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيرا

(قوله ولا يستحق العبادة غيره) لا يعلم من تخصيص تسميته بالله دون غيره عدم استحقاق الغير العبادة ويمكن أن يقال لما كان هذا الاسم الشريف دل على غاية الكمال وقد حفظ عن الشركة دل على ان المسمى في غاية الكمال محفوظ عن الشركة في العبادة (قوله المراد الجنس باسره) اذا كان كذلك لزم قول كل واحد واحد من أفراد الانسان وليس كذلك وأما الاستشهاد بالمثال المذكور ففيه انه يجوز أن يراد بني فلان بعضهم أو كلهم باعتبار ان البعض باشر الفعل وآخرون رضوا به فكان كلهم قتلوه والمعنى بنو فلان صاروا سبب قتله ويمكن أن يقال مراده انه يراد بهذه الكلمة وهي الانسان العموم لكن قدر مضاف وهو البعض وكأنه قيل ويقول بعض من كل هذا الجنس ومحل الكلام ههنا انه اما ان يراد بالانسان الجنس والعموم ويقدر مضاف أو يراد به المعهود ولا يخفى ما فيه (قوله على الخبر) أي على الخبر بحسب الظاهر اذ لا يصدر بكلمة الاستفهام والا فعلى التقدير الاول خبر لانه في معنى الانكار (قوله مع ان الاصل أن يتقدمهما) أي يتقدم المعطوف عليه والمعطوف يعني أو يقول الانسان الخ انما كان الاصل ذلك لان القول المذكور منكر فالاصل أن تدخل همزة الانكار عليه حتى يكون الجميع في حيز الانكار (قوله ساغ نسبته الى الجنس) اذ يصح أن يقال ان كل الجنس يحشر مع الشياطين لان كلهم يحشرون معا

(قوله من كل أمة شاعت دينا) لا يخفى

من

ان هذه العبارة شاملة لطوائف المؤمنين أيضا ولا يناسب ما اتصل به وهو أيهم أشد على الرحمن عتيا والاولى أن يفسر بما فسره صاحب الكشاف بان يقال المراد من الشيعة الطائفة التي شايعت أي تبعت غاويا من الغواة (قوله وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من أهل الكبائر) فيه انه لا يلزم من نزع الاشد عتيا ترك غير الاشد والعفو عنه ولو لزم فلا يلزم أيضا اذا خص بالكثرة الا أن يقال ظاهر التركيب واختصاص الاشد بالذكر يفيد ما ذكر وأما اذا خص بالكثرة فيعلم من خارج ان غير

الاشد معصوفوعنه (قوله فالمراد أنه يميز طوائفهم الخ) هذا التفسير لا يلائم ظاهر الآية لانها تدل على انه تعالى ينزع من كل طائفة أعتاهم فيكون المنتزع بعض كل طائفة لا الطائفة ولذا قال صاحب الكشاف يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد اعصاهم فاعصاهم وأعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار تقدم أولاهم فاولاهم بالعذاب (قوله ومرفوع عند غيره امابالابتداء الخ) لما كان كونه معربا يقتضى أن يكون منصوبا بننزعن بين وجه رفعه اولا بكونه مبتدأ ووجه ابتداءه بوجوه ثلاثة أحدها كون الجملة محكية الثانى كونها معلقا عنها الفعل الثالث كون الجملة مستأنفة وثانيا بكونه فاعل شيعة (قوله أو مستأنفة) الظاهر ان المراد من كونها مستأنفة ان يكون كلاما مستقلا لا ان تكون جوابا لسؤال اذ الكلام فى ان أيهم للاستفهام نعم لو لم يجعل أيهم استفهاما لامكن ان يجعل جوابا للسؤال ولذا قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون النزع واقعا على كل شيعة والمعنى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقال أيهم أشد على الرحمن عتيا ولم يتعرض لكونه استفهاما (قوله واما بشيعة) عطف على قوله امابالابتداء أى رفع امابالابتداء واما بفاعلية شيعة لانها بمعنى تشيع لا يخفى ان هذا وان صح من حيث التركيب لكن لا يظهر له معنى يقبله الطبع ولذا لم يذكره غيره ويحتمل ان يقال مراده انه مرفوع بما يستفاد من شيعة وهو يشيع فكانه قيل ثم لننزعن عن بعض كل شيعة يشيع دينه أيهم أشد (قوله وعلى للبيان الخ) هذا متعلق بجميع ماذكر فيكون التقدير أيهم أشد عتيا وكأن سائلا قال على من أشد عتيا قيل على الرحمن (قوله وكذا الباء فى قوله الخ) أى الباء فى قوله تعالى بها (قوله أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلى) هذا بناء على تقدير ان يكون بها للبيان لانه اذا قيل الذين هم أولى بالصلى كان سائلا قال باى شئ الصلى فقيل بالنار والثانى على تقدير ان تكون الباء متعلقة باولى (قوله التفات الى الانسان) أى الخطاب مع الانسان المذكور قبل فى قوله أولا يذكر الانسان (قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها) يرد عليه انه يدل على الجثو فيها لا الجثو حواليها ومثله يرد على عبارة الكشاف ووجهه العلامة الطيبى بانه قد سبق ان المراد بالورود اما الدخول أو الجواز على الصراط أو القرب والدنو من جهنم أو الجثو حولها والذى يدل على ظهور الوجه الاخير قوله ونذر الظالمين فيها جثيا لما قلنا ان نجى ونذر تفصيل لقوله وان منكم الا واردها ولا بد على هذا الوجه من تقدير مضاف أى نذر الظالمين فى حول جهنم انتهى كلامه ولا يخفى ان هذا الجواب لا يجرى فى كلام المصنف اذ لم يسبق

من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق به وأيهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره امابالابتداء على أنه استفهامى وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلى أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده أنه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى به بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه (ثم ننجى الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم أو معهم (أى الفريقين) المؤمنين والكافرين (خير مقاما) موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أى موضع اقامة ومنزل (وأحسن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها

والدخل عليها أخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى أهل كل عصر قرنا أى مقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لانه يتقدم من بعده وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ماجد منه والخرثى مارث والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها أو على أنه من الرى الذى هو النعمة وقرأ أبو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون فى الآخرة بقوله (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما أخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن امهاله مما ينبغى أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أى قالوا أى الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (وأضعف جندا) أى فئة وأنصارا قابل به أحسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين أن امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كانه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التى تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره منه فى برده (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على أصلها فى التعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب (أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شانه الى أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه

التفصيل المذكور (قوله فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله الخ) ولانهم استدلوا بحسن حالهم فى الدنيا على حسن حالهم عند الله فرد عليهم بان القرون المتقدمة أحسن حالا فى الدنيا منهم مع اهلاكهم من الله تعالى بالعذاب والاستئصال (قوله لانه يتقدم من بعده) كما ان قرن الحيوان يتقدمه (قوله والجملة محكية بعد حتى) أى حتى هذه هى حتى التى يحكى بعدها الجمل وتستأنف لا حتى التى تجر أو تنصب ولا حتى العاطفة (قوله لانه فى معنى الخبر الخ) فلا يلزم من عطف يزداد عليه عطف الخبر على الانشاء (قوله ويزيد المقابل له هداية) بهذا التقدير يحصل الربط بين الشرط والمعطوف على الجزاء (قوله والخير ههنا الخ) أى ليس المراد من الخيرية الانفعية بالنسبة الى مراد الكفرة حتى يلزم أن يكون هو أيضا نافعا بل المراد من الخير ههنا الذى فيه أصل النفع والزيادة عليه (قوله والفاء على أصلها من التعقيب) والاصل فأرأيت بمعنى فأخبر فقدمت الهمزة وأخرت الفاء لصدارة الاستفهام (قوله وتألى عليه) أى حلف عليه الحلف يستفاد

(كلا)

(كلا) ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب مايقول) سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذاما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب مايستاهله أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلت عظمته ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (مايقول) يعني المال والولد (و يأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) ستجحد الآلهة عبادتهم و يقولون ماعبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (و يكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز أي و يكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب ألف الاطلاق في قوله * أقلي اللوم عاذل والعتابن أو على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء (تأزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة (فلا تعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعد لهم) أيام آجالهم (عدا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها (وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لايرده الا لعطش أو كالدواب التي ترد الماء (لايملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الا من تحلى بما يستعد به و يستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ماوعد الله تعالى أو الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به ومحله الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لايملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب اليهم (لقد جئتم شيئا ادا) على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والأد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وأدني

من قوله لاوتين اذ اللام لام القسم (قوله فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول) هذا دليل على ان سنكتب ليس على معناه الحقيقي والالزم أن يكون المعنى بعد ذلك نكتب مايقول في زمان الحال فيلزم تأخر الكتابة عن القول مع ان قوله مايلفظ من قول الخ يراد به ان الملك الموكل يكتب في الحال مايقول (قوله أو جعل الخ) عطف على يؤيد الاول أي جعل الواو للاصنام و يؤيده ماذكر أو جعل الضمير للكفرة (قوله أو على الاستثناء) أي على الاستثناء من الضمير (قوله والضمير يحتمل الوجهين) أي يحتمل أن يعود الى الناس جميعا والى الكافرين المعهودين وفي الاحتمال الاول ماتقدم (قوله جاز أن ينسب اليهم) الوجه هو الوجه الثاني وهو ان ينسب الى الكفرة ولا وجه لان ينسب الى جميع الناس شامل للمؤمن والكافر (قوله على الالتفات للمبالغة في الذم) فان ذم الشخص بطريق المخاطبة وفي الحضور أشد من ذمه بالغيبة

الامر وأدنى أثقالي وعظم على (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر و يعقوب ينفطرن والاول أبلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان أصل التفعل التكلف (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) تهد هدا أو مهدودة أو لانها تهد أى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم و بدد قوائمه غضبا على من تفوه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد أو لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء فى منه والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا أو فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله (ان كل من فى السموات والارض) أى ما منهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد أحصاهم) حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين امالان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام أولان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان أنزلناه بلغتك والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه أى أنزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين فى كل لديد أى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من أحد) هل تشعر باحد منهم وتراه (أو تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به و يحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها و بعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله

(قوله والمعنى ان هول هذه الكلمة الخ) الاولى أن يقال ان هذه الكلمة من الهول بحيث لو تسمع السموات والارض لانفطرت ولا انشقت (قوله تعالى أو تسمع لهم ركزا) انما خص الخفى بالركز لانه اذا لم يسمع منهم الصوت الخفى فبالاولى أن لا يسمع الغير الخفى لان أصل الصوت وأكثره يكون خفيا والجهارة قد تعرض له والاولى ان يقال تخصيصه بالذكر للتنبيه على ان الاثر الظاهر لم يبق لهم فهل يبقى الاثر الخفى

﴿سورة طه﴾

﴿ سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طه) فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص و يعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده أبو

عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل أصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله أخلاق الملاعين

ضعيف لجواز أن يكون قسما كقوله حم لاينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أوقلبت فى يطأ ألفا كقوله * لاهناك المرتع * ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيارجل أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولايجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة

(قوله فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار) أى جعلوا يا طأ وحذفوا ذا من هذا فبقى طه قال صاحب الكشاف كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء أى كأن عكا يجرى فى لغتهم قلب الهاء طاء (قوله لجواز أن يكون قسما) أى بعضهم استدل على ان طاها بمعنى يارجل بما ذكر فى البيت فقال ان طاها المذكور فى البيت يجوز أن يكون قسما فلا يلزم أن يكون بمعنى يارجل (قوله وقلبت فى يطأ الفا الخ) أى يطأ مهموز اللام فقلبت همزته ألفا ثم بنى عنه الامر فبقى بمجرد حرف الطاء ثم ضم اليه هاء السكت فصار طه أمرا وهذا متفرع على ماذكر من أنه قرئ طه بلا ألف وضم اليه هاء السكت (قوله وعلى هذا الخ) أى على هذا التقدير وهو أن يكون طه أمرا يمكن أن يكون طاها وهو قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وحفص كما ذكر أولا وقراءة الباقين من القراء السبعة كما ذكر ثانيا والثانى أمرا أيضا وتكون الالف طا مقلوبة من الهمزة وها ضمير راجع الى الارض وفيه أنه لو كان كذلك لزم كتابتها بطاها بان تكون الالف فى آخرهما مكتوبا (قوله أو اكتفى بشطرى الكلمتين) أى اكتفى عن طا بمجرد حرف الطاء وعن الضمير بمجرد حرف الهاء لكن عبر عنهما أى تلفظ بهما بالاسمين لا بصورتى الحرفين لانهما مسميان (قوله والقرآن فيه واقع موقع العائد) هذا على التقديرين المذكورين فكأنه قيل طه ما أنزلنا عليك لتشقى (قوله أو استئناف الخ) لانه لما قيل طأ الارض بقدميك وكأنه قيل لم أمرتنى بذلك فقيل ما أنزلنا الخ والاولى أن تجعل الاستئناف استئنافا نحويا لابيانيا حتى يشمل الصورة الثالثة وكون طه جملة فعلية بان يكون أمرا لم يقدر عليه شئ واسمية بان يكون أمرا واقعا خبرا عن المبتدأ بالتأويل فكأنه قال أنت طه (قوله من رائض المهر) بفتح الميم وسكون الهاء (قوله والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش الخ) انما قيد بذلك احترازا عما سيجئ من انه يمكن أن يكون المعنى ما أنزلنا اليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه (قوله ولعله عدل اليه الخ) أى لعله عدل عن قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب الى قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (قوله لاختلاف الجنسين) كذا فى الكشاف ورد عليه أن البدل والمبدل منه لايلزم أن يكونا من جنس فان الثوب فى قولك سلب زيد ثوبه ليس من جنس المبدل منه ولذا قال بعض المعلقين على الكشاف ان ما قاله ليس بجواب مفهوم والجواب أن يقال المبدل منه لابد من أن لايكون فى الكلام مقصودا والمقصود هو البدل ولهذا يجوز اطراحه الا حيث لايستقيم بقية الكلام بغيره ونقل الطيبى عن صاحب الكشاف لايجوز البدل لان التذكرة ليست من الشقاوة فى شئ ليس هى اياه ولا بعضه ولا مشتملا عليه أقول التذكرة تستلزم الشقاوة بمعنى التعب لان التذكرة بين أظهر الكافرين المصرين على الكفر لاتخلو عن تعب وان كان التذكر لمن يخشى وهذا كاف فى بدل الاشتمال

القرآن أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به (تنزيلا) نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم أشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما تقتضيه حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم للمنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل أسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها (وهل أتاك حديث موسى) قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل ما نزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام في الخروج الى أمه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال (لاهله امكثوا) أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا ههنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها (اني آنست نارا) أبصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (لعلي آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين فان أفكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) أي النار وجد نارا

(قوله لان الشئ لا يعلل بنفسه) أي اذا كان تنزيلا بدلا عن تذكرة وهي مفعول له لزم أن يكون تنزيلا أيضا مفعولا له فلزم تعليل انزال القرآن بتنزيله فلزم تعليل الشئ بنفسه لان الانزال والتنزيل واحد (قوله لا يعلل بنفسه ولا بنوعه) الاول على تقدير ان الانزال والتنزيل بمعنى واحد والثاني على أن يكون الانزال أعم من التنزيل بان يكون الانزال أعم من أن يكون دفعة واحدة أو على التدريج (قوله على الترتيب الذي هو عند العقل) فان العقل يدرك أولا أفعاله تعالى ويستدل منها على صفاته (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته) كمال الارادة مستفاد من قوله بان قصد العرش الخ لان كلها بان يكون من مبدأ العالم الى آخره تحت تصرفها وفهم من الكلام المذكور وهو قوله الرحمن الخ ما ذكرنا (قوله ويجوز أن يكون أنزلنا الخ) فعلى هذا لا يكون التفاتا من التكلم الى الغيبة (قوله ويجوز أن يكون خبرا ثانيا) يعني ان قوله تعالى الرحمن اذا وقع على المدح يجوز أن يكون فاعلا لفعل مقدر ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الرحمن وعلى هذا يكون على العرش استوى خبرا ثانيا

(قوله تعالى نودي ياموسى الخ) الظاهر أنه اذا فتح همزة انى كان ياموسى بيانا لنودي ولا يصح أن يكون فاعلا لنودي لأن الجملة لا يصح أن تقام مقام الفاعل كما صرح به صاحب الكشاف بل ما يقوم مقامه هو المصدر أي نودي نداء وأما اذا كسرت همزته كان التقدير نودي فقيل ياموسى انى أنا ربك (قوله وهو اشارة الى أنه عليه السلام يتلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا الخ) أراد أن روح موسى عليه السلام أدرك معاني الالفاظ الواردة عليه ثم نقل تلك المعاني بصورة الالفاظ فحصل في الحس المشترك الذي هو قوة تدرك جميع ماتدرك الحواس فتدرك الالوان والاصوات ولما حصل

في الحس المشترك لم يختص بجهة دون أخرى ولا يخلو هذا الكلام عن ابهام فالاولى أن يحمل على ظاهره لأنه تعالى قادر على أن يجعل لكل عضو قوة سامعة تدرك الصوت والنداء ولما حصل الادراك لكل عضو لم يكن ادراك الاصوات مختصا بجهة دون أخرى كما لا يخفى وقد صرح بعض أكابر العارفين رضي الله عنهم انه قد يحصل لبعض الاكابر أن يدرك بكل قوة ماتدركه القوة الاخرى (قوله والمقدس يحتمل المعنيين) أي يحتمل أن يكون المقدس بمعنى المنزه عن النقص المعظم وهو مناسب لما قال أولا من أن الحفوة تواضع ويحتمل أن يكون بمعنى الطاهر من النجاسة وهو مناسب ماقيل من انه أمر بذلك لنجاسة نعليه وههنا نظر اذ لا يخفى أن هذا الكلام لا يظهر ارتباطه بل لو قيل نودي موسى باني ربك حصل الارتباط الظاهر ودفعه بان يقال أن ياموسى خبر مبتدأ محذوف والتقدير نودي نداء هو ياموسى ويكون باني أنا ربك متعلقا بنودي (قوله دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم الخ) قد تكرر في كلامه أن التوحيد منتهى العلم وأوردنا عليه ان منتهى العلم أن يعلم صفاته وأفعاله تعالى على حسب الطاقة والاولى أن يقال انه دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو أول الواجبات العلمية ومطلق الطاعة وتخصيص الصلاة بالذكر التي هي أشرف الاعمال (قوله أو باخفيها على المعنى الاخير) فيكون أكاد أزيل خفاءها بل أظهرها وأوجدها لتجزى كل نفس وأما المعاني المتقدمة فلا يخفى انه لا يناسب أن يتعلق ليجزى بها (قوله تنبيها على أن فطرته السليمة الخ) يعني يفهم من نهي الكافر بحسب الظاهر أن موسى لو امتنع عن الصلاة كان بسبب صد الكافر لا منه نفسه

بيضاء تتقد في شجرة خضراء (نودي ياموسى انى أنا ربك) فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي باني وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال انى أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله باني أسمعه من جميع الجهات و بجميع الاعضاء وهو اشارة الى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمره بذلك لان الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذي يوحى اليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل (وأقم الصلاة لذكري) خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (أكاد أخفيها) أريد اخفاء وقتها وأقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا أظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة أو عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهي الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وما تلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة

وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هي عصاي) وقرئ عصيّ على لغة هذيل (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا اعييت أو وقفت على رأس القطيع (وأهش بها على غنمي) وأخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ أهِش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي انحى عليها زاجرا لها (ولي فيها مآرب أخرى) حاجات أخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابها غرض الذي فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها (سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كأنها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية أخرى) معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك

(قوله تكرير لزيادة الاستئناس) أي تكرير ياموسى للزيادة المذكورة فانه حصل أصل الاستئناس بندائه أولا في قوله تعالى فلما أتيها نودي ياموسى (قوله وكأنه عليه السلام فهم الخ) انما قال وكأنه لاحتمال أن يكون المقصود من السؤال استئناس موسى وتجرئته على الكلام والتخفيف عليه لما حصل من المهابة بخطاب مالك الملوك ورب الارباب تعالى شأنه (قوله وانتصابها على نزع الخافض) اذ التقدير سنعيدها الى سيرتها (قوله باضمار خذ اودونك) يقال دونك في الاغراء (قوله ولعل تبييض يده كان لذلك) أي يحتمل ان الله تعالى جعل يد موسى بيضاء من غير سوء جبرا لاحتراقها باخذ الجمرة أو لانه لطم فرعون

ياموسى.

(قوله ولذلك نكرها وجعل الخ) فان ظاهر التنكير للتبعيض فكأنه قيل احلل بعض عقدة لسانى ويجعل موسى يفقهوا جواب الامر ليكون دالا على أن المطلوب ليس ازالة العقد بالكلية بل الافهام فبأى طريق حصل الافهام حصل المطلوب (قوله ولى صلة) أى صلة لوزيرا ومتعلق به (قوله أولى وزيرا) عطف على قوله وزيرا وهرون أولهما وزيرا وثانيهما الى أى

ياموسى ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لسانى يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل (واجعل لى وزيرا من اهلى هرون أخى) يعينى على ما كلفتنى به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه و يلتجئ اليه فى أموره ومنه الموازرة وقيل أصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة أوحال أولى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير أووزيرا من أهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخى على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره (اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات و يؤدى الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين لى فيما أمرتنى به (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى أنعمنا عليك فى وقت آخر (اذ أوحينا الى أمك) بالهام أو فى منام أو على لسان نبى فى وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما أوحى الى مريم (ما يوحى) ما لا يعلم الا بالوحى أو مما ينبغى أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان اقذفيه أو أى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله * غلام رماه الله بالحسن يافعا * (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدو لى وعدو له) جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى أصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال سبحانه وتعالى (وألقيت عليك محبة منى) أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون و يجوز أن يتعلق منى بالقيت أى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطؤه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره (ولتصنع على عينى) لتربى و يحسن اليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن أمرى (اذ تمشى أختك)

واجعل وزيرا كالثانى (قوله أووزيرا من أهلى) أى يحتمل أن يكون مفعولاه وزيرا ومن أهلى ويكون لى تبيينا (قوله كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد) فان له بيان فانه اذا قيل لم يكن كفوا أحد فكأنه قيل لمن فقيل فى جوابه له أى لله (قوله تعالى ولقد مننا عليك مرة أخرى) فان قيل لم قيل ولقد مننا وصرح بالفاعل وقيل سابقا قد أوتيت سؤلك ولم يصرح بالفاعل قلنا لان السابق لما قيل فى جواب دعاء موسى من الله تعالى علم أن الفاعل هو الله تعالى وأما المن المذكور فلو لم يصرح بفاعله لم يظهر فاعله مراعاة للنظم لان الضمير فى قوله أن اقذفيه فى التابوت لموسى البتة فالملائم أن تكون الضمائر الباقية لموسى أيضا مع أن قوله تعالى يأخذه عدو لى وعدو له أيضا لابد أن يكون لموسى أيضا (قوله كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب الى قوله غلام) هذا يدل ظاهرا على أن المراد من القذف هو الوضع لان المراد من الرمى هو الوضع على ماصرح به صاحب الكشاف حيث قال المعنى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والغلام اليافع الذى ارتفع ولم يبلغ (قوله وأخرج الجواب مخرج الامر) معطوف على قوله جعل أى الاصل أن يقال يلقيه اليم بالساحل حتى يكون جوابا لقوله فاقذفيه فى اليم لكنه عدل الى ماذكر لما ذكر (قوله أو على الجملة

ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع (فتقول هل أدلكم على من يكفله) وذلك لانه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى أمك) وفاء بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) هى بفراقك أو أنت على فراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز و بدور فى حجزة و بدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الآلاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره (فلبثت سنين فى أهل مدين) لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى (اذهبا الى فرعون انه طغى) أمر به أولا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا اياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحى الى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله (فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق باذهبا أو قولا أى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته اذا حملته على العجلة أى نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان انسى أو جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية (أو أن يطغى) أو أن يزداد طغيانا فيتخطى الى أن يقول فيك ما لا ينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لا تخافا اننى معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما و يوجب نصرتى لكما ويجوز أن لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) أطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى أيدى القبط يستخدمونهم و يتعبونهم فى العمل و يقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على أن

المراد بها وقت متسع) أى بأن يكون المراد من قوله تعالى اذ أوحينا الى أمك أى زمان ممتد وقع الايحاء فى بعضه والمشى المذكور فى بعض آخر كما يقال حدث فى هذه السنة كذا وان كان حدوثه فى جزء قصير منها (قوله ابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء) فالاول أن يكون مصدرا مفردا كالخروج والدخول والثانى أن يكون جمعا على انه جمع فتن بفتح الفاء أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء فلوحظت كانها لم تكن وانما قال ذلك لان الفعلة لا تجمع على فعول الا نادرا (قوله أوله ولما سبق ذكره) أى أو هو اجمال لما ناله فى سفره ولما تقدم ذكره من جعله فى التابوت وقذفه فى اليم (قوله كرره عقيب ماهو غاية الحكاية تنبيها على ذلك) أى كرر نداء موسى بعد تمام حكاية ما مضى تنبيها على انه وصل ما مضى حكاية الى النهاية (قوله أمر به موسى أولا وحده) أى أمر الله تعالى موسى وحده بالذهاب الى فرعون فى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى وههنا أمر موسى وأخاه بالذهاب اليه فلا تكرار

(قوله متعلق باذهبا أو قولا) يفهم منه أن مجرد ذهابهما اليه من غير قول صالح للتذكر وخشيته ويمكن أن يكون تخليص ذلك بان يكون مجرد رؤيتهما ومهابتهما فى نظره أو صدور آيات ومعجزات يوجب ماذكر (قوله واطلاقه من حسن الادب) يحتمل أن

تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية قال أولو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة في الدارين لهم (انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في أول الامر أهم وأنجع والواقع أليق (قال فمن ربكما ياموسى) أي بعد ماأتياه وقالاله ماأمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا أمر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أولانه عرف أن له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه و يدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذي أعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه و يرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا أي أعطى كل مخلوق مايصلحه (ثم هدى) ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وأن جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل فلم ير الا صرف الكلام عنه (قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها عند ربي) أي هو غيب لايعلمه الا هو وانما أنا عبد مثلك لاأعلم منه الا ماأخبرني به (في كتاب) مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة و يؤيده (لايضل ربي ولاينسى) والضلال أن تخطئ الشئ في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لايخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم و باجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لايضل ولاينسى

يكون المراد من الاطلاق عدم تقييده يطغى بالجار والمجرور وهو عليك و يحتمل أن يكون المراد من أن الاطلاق من حسن الادب اطلاق فرعون أي عدم تقييده بحسن الادب وهذا هو الظاهر فعلى التقدير الاول يكون اطلاقه مرفوعا وعلى التقدير الثاني يكون مجرورا (قوله و يجوز أن يكون للتدريج في الدعوة) أي الدعوة من الاسهل الى الاصعب فان ارسال بني اسرائيل أسهل على فرعون من الاقرار بوحدانية الله تعالى وعبادته وترك طغيانه وعتوه الفاحش (قوله وسلام الملائكة الخ) فان قيل الاولى أن يقال وسلام الله والملائكة الخ قلنا هذا مبني على ماقاله الفقهاء من أن سلام الله على غير الانبياء والملك خلاف الاولى أو مكروه (قوله ان عذاب المنزلين) المراد بالمنزلين الدنيا والآخرة وعذاب المنزلين يفهم من اطلاق العذاب ولان المقام مقام التهديد (قوله وتغيير النظم والتصريح بالوعيد) أى الظاهر يقتضي أن يقال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب على من كذب وتولى فغير النظم الى ماذكر لماذكر و يفهم من عبارته أن لكل من الامور المذكورة دخلا في التهديد أما الاخيران فظاهر وأما الاول فلان تغيير النظم يدل على الاهتمام بشأنه حتى يستحق أن يلتفت اليه التفاتا خاصا ويغير النظم السابق به (قوله وقرئ خلقه الخ) أى قرئ خلقه بصيغة الفعل في القراءة الشاذة والاولى أن يقال ان حذف أحد مفعولي أعطيت على الشذوذ والندرة (قوله ثم عرفه كيف يرتفق به أعطى) مثل ان اليد والرجل للاخذ والمشي ثم علمه أن يأخذ الاشياء باليد و يمشي بالرجل بل خلق الفهم له فيعرفه أول ماولد أن يمص الثدي حتى يشرب اللبن ولايخفى أن كل شئ لايعرف الارتفاق بما أعطى وانما ذلك للذي له ادراك الا اذا قيل بالتجوز وعبارة الكشاف أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولا يرد عليه مايرد على المصنف (قوله تعالى في كتاب لايضل ربي) الاولى أن يقال هذه حال من ضمير عند أي حصل عنده كائنا في كتاب لايضل ربي فيكون الله تعالى عالما بها وهي أيضا مثبتة في اللوح أيضا فيلزم أن يكون علمه تعالى بها لابسبب اثباتها في اللوح كما توهم من ظاهر العبارة (قوله و يؤيده الخ) لان النسيان يناسب العلم لا الكتاب (قوله و يجوز أن يكون سؤاله دخلا الخ) لما قال سابقا ولذلك فبهت الذي كفر وأفحم عن الدخل

(الذى جعل لكم الارض مهادا) مرفوع صفة لربى أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفى الزخرف مهدا أى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا فى الذى فى النبأ (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من أرض الى أرض لتبلغوا منافعها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق الآية (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان أو صفة لازواجا وكذلك (شتى) و يحتمل أن يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس و بعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا أنعامكم) وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول أى أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه اياها أو عرفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ماأوتى غيره من المعجزات (فكذب) موسى من فرط عناده (وأبى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) أرض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا و بينك موعدا) وعدا لقوله (لانخلفه نحن ولا أنت) فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف أو بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك

عليه قال ههنا يحتمل انه لم يفخم من الدخل بل دخل عليه بما ذكر (قوله تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة الخ) فيه ان هذا التنبيه يحصل لو قيل فأخرج به أزواجا بطريق الغيبة لان كمال القدرة يتفرع على الاخراج سواء كان بلفظ التكلم أو الغيبة الا أن يقال ان مراده ان ماذكر يستفاد من وضع ضمير الجمع موضع المفرد فانه يدل على ماذكر كما أن الملك الكبير لا يأبى عن ارادته شئ عمن فى ملكه ثم ان صاحب الكشاف والمصنف لم يصرحا بانه التفات بل قالا ان العدول المذكور نقل من الغيبة الى التكلم وقال العلامة الطيبى اذا حكم بان الله تعالى حكى عن موسى وغير العبارة من الغيبة الى التكلم لان الضميرين عبارتان عن شئ واحد كان التفاتا واذا نظر الى ان موسى عليه السلام سمع هذه الكلمات بعينها من الله فأثبتها وأدرجها فى كلامه كان التفاتا أيضا (قوله فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان) دليل على ان الموعد مصدر لا اسم زمان أو مكان لان الاخلاف يناسب المصدر لا الزمان والمكان لان الاخلاف عبارة عن ترك الفعل الموعود (قوله بفعل دل عليه المصدر لابه فانه موصوف) أى هو منصوب بوعد الذى دل عليه موعد ولا يصح نصبه بنفس المصدر لانه موصوف بلانخلفه والمصدر الموصوف لايعمل كما ان المشتق اذا كان موصوفا لايعمل بضعف مشابهته للفعل بسبب كونه موصوفا فان الفعل لا يوصف وماذكره رد للكشاف فانه قال هو منصوب بالمصدر أو بفعل دل عليه المصدر و يمكن أن يقال مراد صاحب الكشاف انه منصوب بمصدر مقدر من جنس المصدر الاول أو بفعل من جنسه وهو (قوله كما هو على الاول) أى يقدر هكذا اذا جعلنا الموعد مصدرا و يجعل مكانا سوى منصوب بفعل مقدر (قوله منتصفا يستوى الخ) أى منتصفا من مكان يستوى بعد هذا المنتصف منا مع بعده منك والظاهر ان المراد ان القاءما يريدون القاءه واظهار الاعاجيب به يكون فى المكان المذكور ليكون اطلاع كل من المتخاصمين على ماوقع فى هذا الوسط على سواء

وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق و يزهق الباطل على رؤس الاشهاد و يشيع ذلك فى الاقطار (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب) فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تنازعت السحرة فى أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة (وأسروا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحرث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لاتدخل خبر المبتدا وقيل أصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ أبو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على أنها هى المخففة واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) بالاستيلاء عليها (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى هو أفضل المذاهب باظهار مذهبهما واعلاء دينهما لقوله انى أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فاجمعوا كيدكم) فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض (ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه أهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد أفلح اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض (قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى) أى بعدما أتوا مراعاة للادب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أى اختر القاءك أولا أو القاءنا أو الامر القاؤك أو القاؤنا (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما أوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه أبلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) أى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهى للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل

(قوله وقيل أصله انه هذان لهما ساحران) الغرض منه دفع مايرد ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ نقل العلامة الطيبى عن الزجاج انه قال حكى أبو عبيدة وهو من رؤساء الرواة انه لغة لكنانة وكذلك روى الكوفيون انها لغة لبنى الحارث بن كعب وقال ابن الحاجب فى الامالى وهذه القراءة مشكلة وأظهرها ان هذا مبنى لمجاء فى الرفع والنصب والجر على حال واحدة (قوله وقيل ان بمعنى نعم) فان قيل نعم تصديق لما سبق فما هو قلنا شئ مقدر بنية مايتصل به بان قال بعضهم حين النجوى هما ساحران فقال أكثرهم ان أى نعم هما ساحران وهذا الوجه وان ضعفه ابن الحاجب فى الامالى لكن الزجاج أعجب به وقال وهو الذى اراه والله أعلم وقد عرضته على عالمين محمد بن يزيد يعنى المبرد وعلى ابن اسماعيل فقبلاه وذكرا انه أجود ماسمعوه فى هذا المعنى (قوله تخيل بالتاء) على صيغة المجهول من باب التفعيل

بالياء على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) ماتوهمت (انك أنت الاعلى) تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق مافى يمينك) أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى فى يدك أو تعظيما لها أى لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ماهو أعظم منها أثرا فالقه (تلقف ماصنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف خففت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته (انما صنعوا) ان الذى زوّروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولايفلح الساحر) أى هذا الجنس وتنكير الاوّل لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * فى سعى دنيا طالما قدمدت

كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجدا) أى فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لمارأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدم هرون لكبرسنه أولروى الآية أولان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أوقدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى أنهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) أى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام (قبل أن آذن لكم) فى الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم وأعلمكم به أو لاستاذكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطأتم على مافعلتم (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أوّل من صلب (ولتعلمن أينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله أراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به (أشد عذابا وأبقى) وأدوم عقابا (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أو قسم (فاقض ماأنت قاض) ماأنت قاضيه أى صانعه أو حاكم به (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) انما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهو كالتعليل لماقبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وماأكرهتنا عليه من السحر) من معارضة المعجزة روى أنهم قالوا لفرعون أرنا

(قوله مؤكدا بالاستئناف) فان الاستئناف جواب السؤال وهو دال على انه مما يهتم بشأنه حتى يسأل عنه ويجاب به (قوله ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة) فيه ان العلو مشترك بين موسى و بينهم كماهو مقتضى صيغة التفضيل واذا كان كذلك فكيف يدل مجرد العلو على غلبة موسى عليه السلام عليهم وانما يدل عليها صيغة التفضيل والجواب ان المراد من صيغة التفضيل المبالغة فى العلو فلا يلزم أيضا اثبات العلو للسحرة فان قلت فعلى هذا لاتفيد صيغة التفضيل المبالغة والتقرير قلنا المبالغة فى العلو تستفاد من صيغة التفضيل (قوله كقول العجاج الخ) الاستشهاد فى قوله فى سعى دنيا لانه لما كان المضاف فى هذا التركيب منكرا نكر المضاف اليه أى لما كان الغرض تنكير المضاف نكر المضاف اليه وقوله قدمدت أى أمهلت فى جمعها وتهيئة أسبابها ومافى طالما كافة أو مصدرية

(قوله والعامل فيها معنى الاشارة) لا يظهر وجهه اذ لا وجه لان يقال أشير اليهم حال كونهم خالدين ولا أن يقال اشتراك الدرجات حال كونهم خالدين فيها فالاولى الاقتصار على الوجه الثاني (قوله كأن قتود رحلي الخ) القتود جمع قتاد وهو خشب الرحل والحالبان عرقان مكتنفان بالسرة والغارز بتقديم الراء على الزاى الناقة التي قل لبنها والجمع الغرز وحوالب خبر كان ومعى عطف وغرزا جياعا حالان فالمعنى كأن قتود رحلي حين شدت حوالب ناقتي ومعى جياعا وكونهما حالين باعتبار معنى التشبيه المستفاد من كان اذ المعنى القتود مشبهة بالحوالب والمعى حال كون الحوالب غرزا والمعى جياعا فيكون ههنا مضاف محذوف وهو الجواب والغرض منه اظهار دقة الاخشاب المذكورة وقيل خبر كان في البيت الذي يليه وحوالب مفعول ضمت أي حين شدت على حوالب ناقتي واعلم ان الاستشهاد بالبيت في قوله ومعى جياعا فان معى مفرد ووصف بالجمع الذي هو الجياع (قوله ولا تخشى استئناف الخ) هذا على قراءة حمزة واما على غيرها فيكون عطفا ولا حاجة الى التكلف الذي ذكره (قوله والباء للتعدية الخ) أي اذا كان اتبع الذي هو المخفف بمعنى اتبع المشدد تكون الباء للتعدية فتفيد ان فرعون جعل جنوده تابعين لبني اسرائيل سائرين في أثرهم وقيل الباء مزيدة وعلى هذا يكون بجنوده بدلا من فرعون بدل اشتمال فيكون المعنى اتبعهم جنود فرعون (قوله وهو وراءهم) أي ساقهم خلفهم

موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه (والله خير وأبقى) جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة مهنأة (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) في الدنيا (فأولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أي من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله (في البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلي حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

أو لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لا تخاف دركا) حال من المأمور أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر (ولا تخشى) استئناف أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أو حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق (فأتبعهم فرعون بجنوده) وذلك أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليم ما غشيهم) الضمير لجنوده أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك (وأضل فرعون قومه وما هدى) أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا (يا بني اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي عليه والصلاة والسلام بما فعل بآبائهم (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) بمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عد المواعدة اليهم وهي لموسى أو له وللسبعين المختارين للملابسة (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعني في التيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) لذائذه أو حلاله وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم وما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب (ولا تطغوا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حدّ الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبي) فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى)

ثم استقام على الهدى المذكور (وما أعجلك عن قومك ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه أهم (قال) موسى (هم أولاء على أثرى) أى ماتقدمتهم الابخطى يسيرة لايعتد بها عادة وليس بينى و بينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك (قال فانا قدفتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعدخروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجامن عبادة العجل منهم الااثناعشر ألفا (وأضلهم السامرى) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وأضلهم أى أشدهم ضلالا لانه كان ضالامضلاوان صح أنهم أقاموا على الدين بعدذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قدأكملنا العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عندمقدمه اذليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان أصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين وأخذ التوراة (غضبان) عليهم (أسفا) حزينا بمافعلوا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ماهو مثل فى الغباوة (فاخلفتم موعدى) وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ماأمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه أى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لايناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له (قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا أمرنا اذلو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هى ماألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها أوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى (فقذفناها) أى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) أى ما كان معه منها روى أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامرى انما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل مامعنا فيها ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فاخرج لهم عجلا جسدا) من تلك الحلى المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرى ومن افتتن به اول مارآه (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلايرون) أفلايعلمون (الايرجع اليهم قولا) انه لايرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لاتقع بعد افعال اليقين (ولايملك لهم ضرا ولانفعا) ولايقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من

(قوله ولذلك قدم جواب الانكار الخ) أى المناسب بحسب الظاهر ان يذكر أولا سبب العجلة فيقول عجلت اليك رب لترضى وهم أولاء على أثرى لكنه قدم جواب الانكار لماذكر (قوله تعالى قال فانا قدفتنا قومك الخ) فان قلت ماهذه الفاء قلنا فاء التعقيب فكانه قيل أقول عقب المخاطبة المذكورة انا قد فتنا قومك (قوله وان صح الخ) أى تقل أن عبادتهم للعجل كانت بعدذهاب موسى بعشرين ليلة فاشكل الحال بانه كيف قال الله تعالى عنه عند مقدم موسى الى موعد وعده الله تعالى وأضلهم السامرى بصيغة الماضى والحال ان العبادة المذكورة لم تقع بعد فاجاب بانا لانسلم صحة هذا النقل وان سلم فنقول هذا اخبار على ماسيقع على عادته تعالى بلفظ الماضى (قوله تعالى أفطال عليكم العهد) فان قيل ماهذه الفاء قلنا فاء السببية يعنى أخلفتم موعدى أفطال عليكم العهد (قوله اذليس فى الآية ما يدل عليه) هذا علة لقوله ان صح أى انما قلنا ان صح بطريق الشك اذليس فى الآية مايدل على القصة المذكورة (قوله وهو لايناسب الترتيب على الترديد الخ) أى لايناسب اخلاف الوعد بهذا المعنى ترتيبه على الترديد المذكور لان وجدانهم طول العهد المذكور او ارادتهم حلول غضب الرب تعالى لا يصلح ان يكون علة لوجدانهم الخلف فى وعد موسى بل يصلحان سببين لخلفهم فى وعدهم مع موسى ولايخفى ان وجدانهم الخلف فى وعد موسى كما لايناسب الترتيب المذكور

قبل) من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام اوقول السامرى كأنه أول ماوقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك و بادر بتحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن) لاغير (فاتبعونى واطيعوا أمرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول (قال ياهرون) أى قال له موسى حين رجع (مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعن) أن تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله مامنعك ان لا تسجد (أفعصيت أمرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يا ابن ام) خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بشعر رأسى قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك (قال فما خطبك يا سامرى) أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك أى ماطلبك له وما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب أى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس أثره شيئا الا أحياه أو رأيت مالم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل أو اراد ان ينبه على الوقت وهو حين أرسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب أو فى جوف العجل حتى حيي (وكذلك سولت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على مافعلت (ان تقول لا مساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس و يتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفكه الله و ينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أى لن تخلف الواعد اياه وسياتيك لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) أى بالنار و يؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد و يعضده قراءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين (فى اليم نسفا) فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لا اله الا هو) اذ لا أحد يماثله أو يدانيه فى كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل مايصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ و يحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه

لا يناسب الارادة المذكورة ولا قولهم فى جوابه وهو ما أخلفنا موعدك بملكنا (قوله وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول) من الوجهين اللذين ذكرهما فى تفسير قوله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل (قوله و يؤيده قراءة لنحرقنه) أى يؤيد التفسير بتحريق النار قراءة لنحرقنه من باب الافعال لان الاحراق لا يتعلق الا بالنار (قوله على انه مبالغة) من حرق بكسر الراء (قوله و يعضده قراءة لنحرقنه) بالنون وضم الراء لان هذه الصيغة لا تتعلق قال فى الصحاح لنحرقنه أى لنبردنه

وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من أعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أو اثما عظيما (خالدين فيه) فى الوزر أو فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى أعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذى فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ فى الصور) وقرأ أبو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك (ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو عميا فان حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان) ما (لبثتم الا عشرا) أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أو فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) اعدلهم رأيا أو عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون أشد تقالا منهم (ويسئلونك عن الجبال) عن مآل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن أجزاءها على صف واحد (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها أحوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) أى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة (يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه (لا عوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لمهابته (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة أى الا شفاعة من أذن له أو من أعم المفاعيل أى الا من اذن فى أن يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثانى منصوب على

المفعولية

(قوله ولو جعلت ساء بمعنى أحزن الخ) أى يجب على هذا التقدير ان يكون الكلام هكذا وساءهم يوم القيامة حملهم (قوله أشكل الامر الخ) لانه اذا كان بمعنى أحزن كان المناسب ان يقال ساءهم يوم القيامة كقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وأيضا لا جدوى فى قوله (قوله أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الخ) فيه ايهام وتوضيحه ما ذكره صاحب الكشاف يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار (قوله وثلاثتها أحوال مترتبة) ووجه الترتب أن المناسب أن تجعل الارض أولا قاعا خاليا عن الغير ثم تجعل مستويا بحسب الظاهر ثم تجعل مستويا حقيقة

المفعولية وأذن يحتمل أن يكون من الاذن ومن الأذن (ورضي له قولا) أي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لاجله قول الشافع في شأنه أو قوله لاجله وفي شأنه (يعلم ما بين أيديهم) ما تقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) وما بعدهم مما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أو لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحي القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا يخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الانزال أو مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (أنزلناه قرآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) في ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتي بيانه (وقل رب زدني علما) أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحي اليك تناله لا محالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد أمرناه يقال تقدم الملك اليه وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا أمره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسي) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الامور ويذوق شريها وأريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه أخطأ ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه اسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق القول فيه (أبى) جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى أظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) أفرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لان المراد بالشقاء التعب في طلب

(قوله أو قوله لاجله وفي شأنه) أي قول الشافع لاجل المشفوع وفي شأنه والفرق بينه وبين ما سبقه ان قوله لاجله متعلق برضي على الاول ومتعلق بقوله في الثاني (قوله فتكون اللام بدل الاضافة) أي الاصل وجوه المجرمين فحذف المضاف اليه وعوض عنه اللام (قوله وهو يحتمل الحال) أي الحال من الوجوه والمعنى وقد خاب من حمل ظلما منهم أي من الوجوه والحالية تناسب العموم والاستئناف يناسب الخصوص (قوله أو جزاء ظلم وهضم الخ) فيه نظر اذ لا يلزم من الايمان وبعض العمل أن لا يظلم غيره ولا يهضم حقه فالوجه الى الاول (قوله ولهذه النكتة أسند الخ) أي لاجل ان المراد حصول ملكة التقوى لهم واحداث العظة والاعتبار عند سماع آيات الوعيد أسند الخ (قوله أو الثابت الخ) عطف بحسب المعنى فكأنه قيل الحق المستحق للملكوت لذاته أو الثابت (قوله وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما) يعني انه مع كون حلم آدم راجحا على أحلام بنيه قال الله ذلك فعلم ان أحلام آدم وبنيه لم تكن

المعاش وذلك وظيفة الرجال و يؤيده قوله (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لماله فى الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والسكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل أغراض ماعسى ينقطع و يزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لامن حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وأبو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها (فوسوس اليه الشيطان) فانهى اليه وسوسته (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) الشجرة التى من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فاضافها الى الخلد أى الخلود لملابسته بزعمه (وملك لا يبلى) لا يزول ولا يضعف (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) بأكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أوعن المأمور به أوعن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجبى الى كذا فاجتبيته مثل حليت على العروس فاجتليتها وأصل معنى الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحواء أولهما ولابليس ولما كانا أصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أولاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر و يؤيد الاول قوله (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر و يوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف و بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة أعمى) أعمى البصر أو القلب و يؤيد الاول (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) وقد أمالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى وللنار بعد ذلك (أشد وأبقى) من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله تعالى أو الرسول أو ما دل عليه (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى اهلاكنا اياهم أو الجملة بمضمونها والفعل

ان فى قوله ان لك وقد امتنع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة مع انه لا يمتنع دخول الواو التى هى نائب عنها عليها بسبب ما ذكر وهو ان امتناع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة بسبب ان المكسورة لتحقيق ما دخلت عليه كان المفتوحة فلا يجتمعان لامتناع اجتماع حرفى تحقيق وأما الواو فليست موضوعة للتحقيق حتى يكون حكمها حكم ان (قوله بزعمه) أى بزعم ابليس (قوله وقد أمالهما حمزة والكسائى) أى أمالا همزة أعمى فى الموضعين لان أصلها الياء (قوله ولعله اذا دخل النار الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان أعمى فى الآخرة كان عماه أبديا فما معنى ان عذاب الآخرة أبقى من العمى والجواب ما ذكره وهو انه يمكن أن يحشر أعمى ثم اذا دخل النار زال عماه لما ذكر (قوله أى اهلاكنا اياهم أو الجملة بمضمونها) فيه انهم منعوا وقوع الجملة فاعلا وان أريد به مضمونها أى اهلاكنا اياهم كان الاحتمال الاول بعينه ولم يرد هذا على الكشاف لانه لم يذكر هذين الاحتمالين معا

(قوله والفعل على الاولين معلق) لان الفاعل هو الله او الرسول فيكون كم أهلكنا مفعولا مصدرا بكلمة الاستفهام فيحصل التعليق وانما قال او يدل عليه القراءة بالنون لانها صريحة فى أن فاعله مضمر فيلزم التعليق وأما على الاخيرين فكم أهلكنا بمنزلة الفاعل (قوله تعالى يمشون فى مساكنهم) صفة للقرون بان تجعل اللام فى القرون للعهد الذهنى فيكون فى حكم النكرة كما جعلوا اللام فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وحكموا بان جملة يسبنى صفة للئيم وانما جعلنا القرون فى حكم النكرة لانه لا غرض متعلق بتعيينه بل المراد مطلق القرون لان الغرض التنبيه باهلاك قرون يمشون فى مساكنهم وقال المصنف تبعا لصاحب الكشاف فى قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة أن لا يستطيعون صفة للرجال والنساء والولدان (قوله

والفعل على الاولين معلق يجرى مجرى اعلم و يدل عليه القراءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) و يشاهدون آثار هلاكهم (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب و يجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار أو العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انا بالكسر والقصر أو اناء بالفتح والمد (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه أجمع والنفس أميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال سبحانه وتعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا (وأطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله * ظهراهما مثل ظهور الترسين * أو أمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار و بداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لان النهار جنس أو بالتطوع فى أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات طمعا أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائى وأبو بكر بالبناء للمفعول أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك (الى ما متعنا به) استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة و يجوز أن يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم أو ناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا أو بالبدل من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه أو

أو اسم آلة) أى بمعنى اسم آلة وهو ملزم قال صاحب الكشاف واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل (قوله لزاز خصم) لعله من قبيل جرد قطيفة أى خصم ملزز أى ملح مبالغ فى الخصومة (قوله أى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم) فيكون المراد بالأجل المسمى يوم القيامة أى يكون مجموع الامرين لازما لهم (قوله وانما قدم زمان الليل الخ) أى قدم آناء الليل على فسبح وعكس فيما تقدم وهو قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ووجه التقديم ما ذكر (قوله ارادة الاختصاص) فان صلاة الصبح فيها مشقة لكونه وقت شدة النوم وصلاة المغرب وقتها ضيق فكرر ليهتم بهما (قوله فانه نهاية النصف الاول الخ) لا يخفى ان أول الظهر حين زالت الشمس عن منتصف السماء فكيف يصح انه نهاية النصف الاول بل هو بداية النصف الثانى (قوله وجمعه باعتبار النصفين) فان المثنى قد يعبر عنه بصيغة الجمع لمثل ما ذكر (قوله أو لان النهار جنس) فله أفراد كثيرة فيتحقق الاطراف (قوله أو من أزواجا) بتقدير مضاف ودونه فالاول على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف الكفرة فانهم ذوو زهرة الحياة الدنيا والثانى على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف التمتيعات فانها زهرة الحياة الدنيا

بالنم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهر والدنيا التنعمهم و بهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) وما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوّة (خير) مما منحهم في الدنيا (وأبقى) فانه لا ينقطع (وأمر أهلك بالصلاة) أمره بان يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) أي أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوي التقوى روي أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكار الماجاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوّة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (أولم يأتهم بينة ما في الصحف الأولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لانها في معنى البرهان أو المراد بها القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل) بالقتل والسبي في الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوي) المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوآى والسوء أي الشر والسوي وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة وعلى أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الانبياء مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله و يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أولان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للاضافة

(قوله فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية الخ) وهي جملة من أصحاب الصراط السوي وانما قال على ان العلم بمعنى المعرفة لانه اذا لم يكن كذلك وجب ان يكون له مفعولان فلا يصح ان يكون من اهتدى من غير شيء آخر مفعولا له بل لا بد من مفعول آخر لان الموصول مع صلته في حكم كلمة واحدة فلزم الاقتصار على أحد مفعولي باب حسبت

﴿سورة الانبياء﴾

(قوله بالاضافة الى ما مضى الخ) يريد بيان وجه اقتراب الحساب ووجهه باربعة أوجه (قوله وتأكيد للاضافة) كما قالوا في لا أبالك ان اللام الظاهرة تأكيد للام المقدرة

وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة) أى فى غفلة عن الحساب (معرضون) عن التفكر فيه وهما خبران للضمير و يجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر أو صلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن به و يستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه و يجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير (وأسروا النجوى) بالغوا فى اخفائها أو جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للايماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) بأسره فى موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وانما أسروا به تشاورا فى استنباط ما يهدم أمره و يظهر فساده للناس عامة (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض) جهرا كان أو سرا فضلا عما أسروا به فهو آكد من قوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا ليطابق قوله وأسروا النجوى فى المبالغة وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام افتراه ثم الى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الاولى لتمام حكاية والابتداء بأخرى أو للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى أمر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه أباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى أنه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها و يرغبه فيها و يجوز أن يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق

(قوله وأصله اقترب حساب الناس الخ) أى الاصل ما ذكر باضافة الحساب الى الناس ثم قيل اقترب للناس الحساب ليحصل التبيين بعد الابهام ثم قيل اقترب للناس حسابهم بتقدير اقترب حساب للناس حسابهم فيحصل منه فائدتان احداهما تأكيد معنى الاضافة والثانى التبيين بعد الابهام هكذا ذكره العلامة الطيبى وفيه انه يلزم منه حذف الفاعل الذى هو الحساب فى قوله اقترب حساب للناس حسابهم فالوجه الاقتصار على ان المآل أى اقترب للناس حسابهم حتى يكون الفاعل حسابهم فيفيد تأكيد معنى الاضافة لان قوله تعالى حسابهم فى معنى حساب للناس (قوله تعالى محدث) فان قيل ما فائدة قوله تعالى محدث قلنا فائدته انه لو لم يذكر لجاز ان يتوهم ان ذكرا واحدا تكرر بيانه بان يذكره النبى صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى فاذا قيل محدث علم انه لم يكن فكان بعد ما لم يكن (قوله وهو آكد من قوله تعالى قل أنزله الذى يعلم الخ) لان هذه الآية صريحة فى انه تعالى يعلم القول الخفى والظاهر وتلك الآية تدل على انه تعالى يعلم الاسرار ومن يعلم الاسرار وان كان الظاهر منه انه يعلم الجهر أيضا لكن التصريح به أشد تقريرا ولك ان تقول تلك الآية آكد من وجه لانها تدل على انه تعالى يعلم السر أيضا منهما أعم من ان يكون قولا أو غيره وهذه الآية تدل على انه تعالى يعلم القول سرا وجهرا واعلم ان العلامة الطيبى نقل عن الراغب ان القول يستعمل على وجوه أحدها ان يكون للحروف المبرزة فى النطق مفردا كان أو جملة الثانى للتصور فى النفس قبل الابراز باللفظ فيقال فى نفسى قول لم أبرزه وعلى هذا اظهر ما ادعاه من كونه آكد لان السر هو الحديث فى النفس كذا قاله الراغب (قوله اضراب لهم عن قولهم هو سحر الخ) فيكون بل الخ من كلام الكفرة كذا فى الكشاف واعترض عليه بان فيه اشكالا من حيث انه لو كان كذلك لوجب ان يقال قالوا بل أضغاث أحلام (قوله والظاهر ان بل الاولى الخ) فيكون من كلام الله تعالى (قوله أو للاضراب عن تحاورهم الخ) فقوله اضراب لهم عن قولهم الخ معناه ان كلامهم الاول وهو قولهم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وكذا قولهم أضغاث أحلام الخ كلاهما بيان تحاورهم فى شأن القرآن (قوله و يجوز أن يكون الكل من الله تعالى الخ) حاصله ان بل للترقى من الفاسد الى الافسد فان نسبة القرآن الى السحر فاسد وكونه أضغاث أحلام أفسد منه لان السحر شبيه بالاعجاز من وجه وهو خرق العادة بخلاف أضغاث الاحلام وقس عليه الباقين

والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما الا انه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو أبعد من كونه سحرا الا انه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) أي كما أرسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس أو لانه مصدر في الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان أصله لجمع الشيء واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) أي في الوعد (فانجيناهم ومن نشاء) يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حيت العرب من عذاب الاستئصال (وأهلكنا المسرفين) في الكفر والمعاصي (لقد أنزلنا اليكم) يا قريش (كتابا) يعني القرآن (فيه ذكركم) صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه (وأنشأنا بعدها) بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما أدركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التي كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن أعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان أهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره

(وما

الامر صح التشبيه بالوجه المذكور (قوله أو لان اخبار الجم الغفير الخ) فيه نظر لان اخبار الجم الغفير من اليهود والنصارى وغيرهم بكذب النبي صلى الله عليه وسلم لا يوجب العلم بل يوجب جهلهم والجواب عنه ان اخبار الجم الغفير يوجب العلم اذا وجد شروط التواتر وليس تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم كذلك لظهور ما يرد قولهم (قوله واردة عن غضب شديد) أي هذه آية واردة عن غضب شديد أي دالة عليه (قوله يا لثارات الانبياء) الثار القصاص وهذا النداء للتعجب والمعنى يا أيها الناس تعجبوا من ثارات الانبياء وفيه أن المناسب أن يقال بالافراد لانهم قتلوا نبيا واحدا الا أن يقال ان مشاهدة ثار النبي المذكور في حكم مشاهدة ثارات الانبياء (قوله أو صفة له أو حال من ضميره) أي خامدين اما صفة الحصيد أو حال من الضمير المستتر فيه ويرد عليه أن الصفة جمع والموصوف مفرد وكذا الضمير المستتر فيه مفرد والحال جمع الا أن يقال الحصيد وان كان مفردا في اللفظ الا أنه في معنى الجمع

(قوله والمراد الرد على النصارى) فانهم ادعوا أنه تعالى اتخذ الزوجة والولد (قوله ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق) بان يقال معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل بل نحقق الحق فيجوز أن يعطف على الحق فيدمغ الذى هو فى تأويل المصدر والمعنى بل نحقق الحق فيدمغ الباطل (قوله وذكره لترشيح المجاز) فان الدمغ مستعار من شق غشائه والهلاك يناسبه لانه لازمه (قوله أو لانه أعم منه من وجه) الوجه الاول بناء على أن من فى السموات والارض عبارة عن مطلق من فى جهات العلو والسفل وهذا الوجه بناء على أن المراد بمن فى السموات والارض من فى السماوات السبع والارض حتى لا يشمل من (٣٧) فى الكرسى والعرش فهو أعم من وجه

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى أن يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال (لو أردنا أن نتخذ لهوا) ما يتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ويدل على جواب الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز (ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أو لانه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ فى السماء والارض أو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جئ بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير قبله (أم اتخذوا آلهة) بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم (من الارض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم (لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصف بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما

ممن فى السموات والارض اذ يمكن أن يكون من فى السماء والارض ملكا مقربا ويمكن أن يكون غيره ويمكن أن يكون ملك مقرب ليس فى السماء ولا فى الارض (قوله بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور) أى التعب وذلك لان الاستحسار طلب الحسور ولا طلب فدل السين على المبالغة فيكون المعنى نفى مبالغة التعب فيشعر بان ماهم عليه حقيق بالتعب الشديد لكنهم ليسوا كذلك فلا يرد انه لو قيل لا يحسرون لكان أولى أو لانه يفيد نفى مطلق التعب اذ على هذا التقدير تفوت النكتة المذكورة (قوله وهو استئناف) أى يسبحون استئناف أو حال من ضمير قبله فى يستحسرون أو غيره (قوله وفائدتها التحقير دون التخصيص) أى فائدة من الارض تحقير آلهتهم لا تخصيص الآلهة الارضية بالحكم فان الآلهة غير الله تعالى محقرون سواء أخذت من الارض أو من غيرها (قوله فان من لوازمها الخ) فيه أنه لا يلزم من الاقتدار على الشئ تحصيله فلا يلزم من القدرة على الانشار انشاره بالفعل والاولى أن يقال انهم لما عبدوا الاصنام ولابد للعبادة من فائدة وهى الثواب فاقبالهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكونها الحشر والنشر والثواب (قوله لتعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها الخ) أى انما حمل الا على معنى غير وجعل صفة للآلهة لتعذر حمله على الاستثناء لانه اخراج شئ عن شئ لولم يكن الاستثناء به لكان الاول داخلا فى الثانى لكن الامر ههنا ليس كذلك لان آلهة جمع منكور غير محصور فلا يعلم ان الله داخل فيها أولا (قوله ودلالته الخ) هذا دليل آخر على جعل الا بمعنى الصفة وتوضيحه انه لو جعل الا بمعنى الاستثناء به لكان

المعنى لو كان فيهما آلهة يستثنى منها الله لفسدتا فلزم انه لو كان فيهما آلهة لم يستثن منها الله تعالى لم يلزم منها الفساد وهو خلاف المقصود اذ المقصود لزوم الفساد من تعدد الآلهة مطلقا أي من غير تقييد بان ليس الله تعالى منهم أو بان يقيد وابادخال الله تعالى فيهم وأما اذا جعل الا بمعنى غير لزم الفساد على كل حال اذ المعنى لو كان فيهما آلهة متصفة بكونهم غير الله لزم الفساد (قوله لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت الخ) بين هذين الكلامين نوع تنافر لان القول الاول يدل على تعين التخالف والقول الثاني وهو قوله فانها ان توافقت الخ صريح في احتمال التخالف

والتوافق وحاصل الترديد انها ان توافقت على مراد معين لزم اجتماع القدرة المتعددة المستقلة على شخص واحد وهو محال لما اشتهر في الكتب من امتناع اجتماع فواعل مستقلة على معلول واحد للزوم احتياجه واستغنائه عن كل واحد وان تخالفت الآلهة فيه بان يريد واحد وجوده والآخر عدمه لزم تعاوق القدر عنه بان يكون كل منهما مانعا عائقا عن الآخر فلزم المحال وههنا ابحاث دقيقة فصلناها في أوائل الحواشي التي كتبناها على شرح المواقف ثم ان في الآية أمرين أحدهما ما فائدة لفظ الجلالة ولم يقل لو كان فيهما اله الا الله لفسدتا مع انه أعم لانه يفيد ان ليس اله غير الله مطلقا بخلاف لفظ الجمع فانه يفيد نفي جميع الآلهة ولم يفد نفي اله واحد غير الله الثاني ما فائدة لفظ الا الله مع انه من المعلوم ان الآلهة لا بد أن تكون غير الله والجواب عن الاول ان الغرض من الآية الرد على الكفرة وانهم اتخذوا آلهة متعددة ثم انه لا فرق بين نفي الآلهة المتعددة وبين نفي اله غير الله اذ المحال المترتب عن على كل منهما واحد وعن الثاني ان فيه اشعارا بان معنى غير الله مناف للالوهية حتى لا يمكن ان يكون شيء متصف بانه غير الله صالحا للالوهية (قوله أو ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الخ) سندا خبر يكون وكذا دليلا (قوله به وبمن الجارة الخ) أي قرئ بالتنوين وبمن الجارة على ان مع اسم كقبل فكما ان قبل وشبهه قد يدخل من عليه فيقال من قبلي كذلك يقال من معي (قوله وفيه تنبيه على مدحض القوم) أي تنبيه على منشأ شبهتهم وهي ان اكرام الله لبعض عباده منشأ لشبه اتخاذهم أولادا (قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله) أي على استهجان السبق الذي يعرض به أي بذلك السبق المستهجن للقائلين المذكورين فان القول

دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد (لا يسئل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم يسئلون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم أو ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية أو وجدوا في الكتب الالهية الأمر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك أنه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا (قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل أو من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بأولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا

على الله ما لم يقله فسبق عليه (قوله بالضم) أى بضم الباء من يسبقونه (قوله من الملائكة) تخصيص الملائكة بناء على سبق ذكرهم (قوله والكفر تو ان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا الخ) فيه نظر اذ تمكنهم من العلم الحاصل بالنظر بان السموات والارض كانتا رتقا ثم فتقتا ممنوع واما قوله فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ففيه ان انفصالهما لا يدل على عروض الفتق بعدما كانتا رتقا لم لا يجوز ان يكونا مخلوقين منفصلتين بلا رتق وفتق فان استدل لهما على ان القرآن

عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه (وهم بامره يعملون) لا يعملون قط ما لم يأمرهم به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة أو من الخلائق (انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجزى الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية (أولم ير الذين كفروا) أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو (أن السموات والارض كانتا رتقا) ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنويع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات بأسرها على أن لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط أو استفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا أى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض (وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا فى الارض رواسى) ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت (أن تميد بهم) كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لأمن الالباس (وجعلنا فيها) فى الارض أو الرواسى (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين

المعجز نص عليهما فنقول هذا كاف فى اثبات الرتق والفتق ولا حاجة الى الدليل العقلى المذكور وقال صاحب الكشاف فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان أحدهما انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص أقول فى الوجه الثانى مثل ما فى الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما المصنف (قوله أو صيرنا كل شئ حى) فان قيل التصيير يدل على احياء الحيوان دون الماء أولا ثم صار بحيث لا يحيا دونه مع انه ليس كذلك قلت كل حيوان فهو جنين ولا يحتاج الى الماء ثم اذا تولد صار محتاجا (قوله فالظرف لغو) أى متعلقه مخصوص مذكور وهو جعلنا ويفهم منه انه على التقدير السابق ظرف مستقر أى وجعلنا كل شئ حى كائنا بسبب الماء حتى يكون مفعولا ثانيا لصيرنا (قوله ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك) لان الحال قيد العامل كما فى جاء زيد راكبا فانه يدل على ان الركوب وقت المجيء (قوله فيدل على انه خلقها ووسعها للسابلة) لان البدل هو المقصود بالذات فالمقصود كونها سبلا أى محلا للسابلة (قوله مع ما فيه من التوكيد) لان الفجاج يدل على السبل لان الفج الطريق الواسع فاذا قدم الفج حمل على معناه الحقيقى فحصل التأكيد بذكر سبلا بعده وأما اذا أخر الفجاج حمل الفج على الواسع لان السبيل قد تقدم ذكره فلا حاجة الى اعتياد

(وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل فى فلك) أى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز افرادهما بهالعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكروه (ونبلوكم) ونعاملكم معاملة المختبر (بالشر والخير) بالبلايا والنعم (فتنة) ابتلاء مصدر من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقرير الماسبق (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الاهزوا) الامهزوأبه ويقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى بسوء وانما أطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء (وهم بذكر الرحمن) بالتوحيد أو بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (خلق الانسان من عجل) كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى أنها نزلت فى النضر بن الحرث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتى) نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الاخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول يعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة أو النار أو الساعة (بغتة) فجأة مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا فى قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة (ولاهم ينظرون) يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وعده بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محمد للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه ان أراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه

اشتراكهما بين جميع الكواكب لعدم الالتباس والاشتباه فى عدم اختصاصهما بهما اذ من المعلوم ان الجملة ليست مخصوصة بهما (قوله والهمزة لانكاره بعد ماتقرر ذلك) أى لانكار الخلود بعد ما تقرر ان لا خلود لاحد عن قبلك فليس لاحد بعدك أيضا خلود (قوله وهو برهان على ما أنكروه) هكذا وقع بصيغة الجمع فى بعض النسخ وليس له وجه ظاهر والوجه صيغة المفرد كما وقع فى بعض النسخ (قوله تقرير الماسبق) وهو عدم الخلود (قوله ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر) أى كرر ضميرهم لان الصلة التى هى بذكر الرحمن فصلت بين المبتدأ والخبر والمراد بكونه صلة كونه صلة الكافرين أى تعلقه (قوله جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه) أى جعل العجل الذى جبل عليه الشخص بمنزلة شئ طبع ذلك الشخص وخلق منه ولذلك قيل انه من القلب لان الظاهر ان يقال خلق العجل من الانسان لان الانسان الموصوف والذات والعجل الصفة والعرض

(قوله وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غيره رحمته الخ) فكان فيه تلقين للجواب بان الكالئ هو رحمته لكنهم لما كانوا معرضين على

على أن لا كالئ غيره رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال (أفلا يرون أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما أنذركم بالوحى) بما أوحى الىّ (ولا يسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما ينذرون) منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار أو للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) أدنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان أصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون به (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة أو لاهله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقها أو من الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) أى وان كان العمل أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (أتينا بها) أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (أنزلناه) على محمد عليه الصلاة والسلام (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على أنه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة (من قبل) من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع

عن ذكر ما عرفوا ان الكالئ رحمته ولم يصلحوا للسؤال عما هو الكالئ (قوله بل ألهم آلهة) الاولى أن يقال ان أم ههنا لمجرد الاضراب من غير استفهام كما قال صاحب المغنى ان أم فى قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء لمجرد الاضراب لا يتضمن الاستفهام فكان معنى الكلام حينئذ عن ذكر ربهم معرضون بل لهم آلهة تمنعهم من دوننا فلا تسأل عنهم فكان هذا الكلام وهو قوله أم لهم آلهة واقعا على التهكم (قوله أو للمبالغة) لان السماع وقت الانذار مما يجب أن يبالغ فيه لانه منجى الشخص عن العذاب فمن لم يسمع وقت الانذار فهو فى غاية الغفلة

(قوله وفيه اشارة الى أن علمه تعالى باختيار وحكمة) اذ المعنى على ما فسره علمنا انه أهل لما آتيناه وفيه اشارة الى أن ايتاء رشده لاهليته عليه الصلاة والسلام ومفهومه انه لو لم يكن أهلا لما آتيناه وهذا يدل على الاختيار اذ لو لم يكن مختارا بل بالذات لزم الايتاء سواء كان أهلا أو لا فتأمل (قوله وهو جواب عما لزم الاستفهام الخ) أى هذا الجواب لا يكون جوابا فى

لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه وقومه) متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده وقت قوله (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها أو يجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) منخرطين فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة أنه على حق (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) كأنهم لاستبعادهم تضليله اياهم ظنوا أن ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض أو للتماثيل وهو أدخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وأنا على ذلكم) أى المذكور من التوحيد (من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لأكيدن أصنامكم) لأجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد أن تولوا) عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا (فجعلهم جذاذا) قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود أن يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك أو الى الله أى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام أو بافراطه فى حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع أو صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) خبر محذوف أى هو ابراهيم ويجوز أن يرفع بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على أعين الناس) بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى أعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) حين أحضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه أو تقريرا لنفسه مع

الظاهر عن السؤال اذ السؤال عن التماثيل أنفسها لا عن علة عبادتها لكن لما كان الاستفهام المذكور للتحقير كان متضمنا للسؤال عن علة عبادتها فهذا الجواب جواب عنه (قوله لعدم استناد الفريقين الى دليل) المراد من الفريقين الآباء والابناء المقلدون لهم (قوله والتقليد ان جاز انما يجوز لمن علم انه فى الجملة على حق) يفهم منه انه لا يجوز التقليد أصلا وان علم المقلد ان مقلده على حق لكن فيه نظر لان من قلد امامه فى فروع الفقه علم فى الجملة انه وامامه على الحق وان لم يعرف التفصيل وههنا نظر آخر وهو ان كان المراد من العلم اليقين فالمقلد لا يلزم أن يحصل له اليقين لان من قلد امامه قد يكون امامه على الخطأ فكيف يكون تقليده يقينا وان كان المراد الجزم المطلق فالكافرون حصل لهم الجزم بان الاصنام آلهتهم ومعبودهم (قوله أولانهم يرجعون الى الكبير الخ) هذا ضعيف لانهم عالمون الاستهزاء بأن الاصنام لا تصلح للسؤال ولا للجواب (قوله وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه) أى لنسبة الذكر اليه طريقان أحدهما ما ذكر والثانى أن يقال سمعنا يذكرهم فتى وانما كان أبلغ لان سمعنا لما تعلق بفتى أفاد انه سمع ذكر فتى لان سمع الفتى نفسه لا وجه له ثم اذا ذكر يذكرهم علم مرة أخرى ذكر الفتى (قوله ويجوز أن يرفع بالفعل الخ) هذا هو الظاهر فينبغى أن يجعل هو الاصل على عكس ما ذكر الا

الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون ومابينهما اعتراض أو الى ضمير فتى أو ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) بهذا السؤال أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشئ مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا أنفسهم (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيا ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لاتنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) أخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار أهول مايعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمروذ (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى وسلمنا سلاما عليه روى أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم (وأرادوا به كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الاخسرين) أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) أى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهى حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بامرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل

أن يقال المراد من التقليد فى أصول الدين لا الفروع ٧ (قوله على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لايحسن الخط الخ) فان المقصود من قوله بل كتبته اثبات الكتابة لنفسه ونفيه عن الامى واثبات الكتابة فى الظاهر للامى للاستهزاء (قوله أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه) فان من قال بالهية شئ يلزم عليه أن يجوز عليه مثل ماذكر (قوله وقيل انه فى المعنى يتعلق الخ) أى قوله تعالى فعله كبيرهم يتعلق بقوله ان كانوا ينطقون أى ان كانوا ينطقون فعله كبيرهم بمعنى انهم ان كانوا ذوى نطق يصلحون للفعل المذكور فاسألوهم (قوله للمبالغة أو للتقريع) انما أفاد الاستفهام المبالغة اذ هو مشعر بأنه لاحاجة الى الامر بل هو مستحق الوقوع فيسأل عنه هل وقع أم لا

وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواطة وصفها بصفة أهلها أو أسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه و يدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وأدخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبناله) دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الطوفان أو أذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوع انتصر أى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولعلهما لم يجتمعا فى قوم الا وأهلكهم الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة أو الفتوى وقرئ فافهمناها روى أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فامر بدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأشعارها والحرث الى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبد المغصوب اذا أبق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وعند أبى حنيفة لا ضمان الا أن يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه فى صغره (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها (لكم) متعلق بعلم أو صفة للبوس (ليحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة أبى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل أنتم شاكرون) ذلك أمر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان) وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول أمر يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه (الريح عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة

(قوله لان الخارق فيه عائد الى سليمان تابع له) الثانى تفسير للاول

أخرى حسب ارادته (تجرى بأمره) بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام رواحا بعد ماسارت به منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه على ماتقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ماقبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ماهو مقتضى جبلتهم (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر) بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال (وأنت أرحم الراحمين) وصف ربه بغاية الرحمة بعد ماذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف أو رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى (فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان أو أحيى ولده وولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (واسمعيل وادريس وذا الكفل) يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجىء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوب (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوة أو نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن أن لن نقدر عليه) لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل (أن لا اله الا أنت) بانه لا اله الا أنت (سبحانك) من أن يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن

(قوله وهى نكرة موصوفة) يحتمل أن تكون موصولة أيضا وقد صرح به بعضهم ولعله نظر الى أن لا حاجة ههنا الى اعتبار التعريف الموصولى

عاصم وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله تنجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) وحيدا بلا ولد يرثني (وأنت خير الوارثين) فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعني المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون الى أبواب الخير (ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للاجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين أو دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال (والتي أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعني مريم (فنفخنا فيها) أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وجعلناها وابنها) أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه أمتكم) أي ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها (أمة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما خبران (وأنا ربكم) لا اله لكم غيري (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا أمرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (الينا راجعون) فنجازيهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران) فلا تضييع (لسعيه) استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم (أهلكناها) حكمنا باهلاكها أو وجدناها هالكة (أنهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد

والضمير

(قوله وقيل وفعلنا النفخ) انما قال هكذا لان قوله تعالى فنفخنا معناه الظاهر أحييناها لكن الغرض ههنا ليس احياء مريم فاما ان يقدر ما قاله أولا أو يؤول هذا التأويل (قوله الذي هو بأمرنا وحده) أي من غير واسطة ملك (قوله رجوعهم الى التوبة أو الحياة) المعنى الاول ناظر الى التفسير الاول وهو قوله حكمنا باهلاكها والمعنى الثاني ناظر الى المعنى الثاني وهو قوله أو وجدناها هالكة (قوله أو فاعل له ساد مسد خبره) هذا على مذهب الاخفش والكوفيين من ان فاعل الصفة ساد مسد خبرها وان لم تكن الصفة بعد حرف النفي أو الاستفهام وأما قوله أو دليل عليه هو معطوف على قوله مبتدأ خبره حرام يعني اما ان يقال انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام أو فاعل له أو يقال انهم لا يرجعون دليل عليه أي على حرام المذكور وعلى الاول يكون المعنى وحرام عليها توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم ويكون لا على التقديرين الاولين صلة أي زائدة وعلى الاحتمال الثاني تكون لا غير زائدة وحرام خبر مبتدأ محذوف ويكون انهم

لايرجعون دليل عليه أي حرام على القرية المذكورة ماذكر في الآية السابقة وهو عدم كفران سعيه (قوله واقع موقع الحال من الموصول) المراد أن يكون الحال حالا من ضمير الموصول وهو الواو في كفروا (قوله وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه) فيه بحث اذ مقتضى عبارته انه على تقدير أن يكون المراد بما يعبدون ابليس وأعوانه يكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه لكن ليس كذلك بل يكون ما مؤولا بمن البتة ولا مجال لكون ما مؤولا بما يعمه وحق العبارة أن يقال

والضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار (ياويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا في غفلة من هذا) لم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى أن ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب (حصب جهنم) مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لاجلها (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) لان المؤاخذ بالعذاب لا يكون الها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان أريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لايسمعون) من الهول وشدة العذاب وقيل لايسمعون مايسرهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى أعلى عليين روى أن عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لايسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين لهم (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذي كنتم توعدون) في الدنيا (يوم نطوي السماء) مقدر باذكر أو ظرف لايحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر أو المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطي السجل للكتاب) طيا كطي الطومار لاجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه أو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه

يحتمل ان يكون المراد بما تعبدون ابليس وأعوانه ويناسبه الرواية المذكورة أولا وأن يكون عاما لهم ولسائر المعبودين ويناسبه الرواية الثانية وعلى الاول يكون ما مؤولا بمن وعلى الثاني يكون ما مؤولا بما يعمه وان أريد بقوله على هذا ان يكون المراد بما تعبدون مجموع الاوثان وابليس وأعوانه يكون مؤولا بما يعمه فقط ويمكن أن يكون المراد بقوله وعلى هذا الخ وعلى أن يكون عزيرا وعيسى والملائكة غير معبودين يكون ما مؤولا بمن بان ما عبارة عن ابليس وأعوانه وما يكون مؤولا بما يعمه بان يكون المراد الاوثان وابليس وأعوانه جميعا فتأمل (قوله ويكون (قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص) فالاول على تقدير أن يكون ما مؤولا بمن والثاني على تقدير عموم ما هكذا قيل والاولى أن يكون مراده انه ان أريد بما تعبدون الباعث على العبادة يكون تعبدون مجازا او القرينة عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية اذ يعلم منه انهم غير داخلين تحت ما تعبدون لان لهم حكما آخر ففيه قرينة على ان ليس المراد بما تعبدون المعنى الحقيقي ثم كونه بيانا للتخصيص ظاهر لكن كونه بيانا للتجوز فيه خفاء اذ لم يبين من الآية المذكورة وهي قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أن يكون قوله تعالى ما تعبدون مجازا الا ان يقال المراد انه اذا ثبت ان المراد بما تعبدون الباعث على العبادة كانت هذه الآية زيادة بيان للتجوز المذكور (قوله لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها) فيه انه يلزم ان يكون الاوثان معذبة وهذا لا يعلم من الآية فالاولى أن يقال ان الورود في جهنم لا يناسب الالوهية وان كان من غير تعذيب (قوله للتغليب) بان يسند فعل البعض

وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي نعيد ما خلقناه مبتدأ أعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم أوجمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأنا وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لانه عدة بالاعادة (علينا) أي علينا انجازه (انا كنا فاعلين) ذلك لا محالة (ولقد كتبنا في الزبور) في كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) أي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أي أرض الجنة أو الارض المقدسة (يرثها عبادي الصالحون) يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان في هذا) أي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد (لبلاغا) لكفاية أو لسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) هم همهم العبادة دون العادة (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أي ما يوحى الى الا أنه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس (فهل أنتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم (على سواء) مستوين في الاعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان أدري) وما أدري (أقريب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان أدري لعله فتنة لكم) وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الاسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب أمانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن والله تعالى أعلم

﴿سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي أو تحريك الاشياء

وهم العابدون الى الكل وهم العابدون والاصنام (قوله وما كافة أو مصدرية) وعلى كل حال يكون الفعل بمعنى المصدر (قوله فالاولى) أي انما الاولى لقصر الحكم أي المسند وهو الوحي على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشئ أي المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أي الاله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها الى الكثرة

﴿سورة الحج﴾

فيهافأضيفت اليهااضافة معنوية بتقدير فى أواضافة الصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانهامن أشراطها (شيئ عظيم) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث اذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وماموصولة أومصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كانهم سكارى (وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما أورؤيته قائما بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر انمايراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهي تعمه وأضرابه (ويتبع) فى المجادلة أوفى عامة أحواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد وأصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (أنه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبرلمن أوجواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه أنه يضله لاعلى العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أواضمار القول أوتضمين الكتب معناه (ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على مايؤدي اليه (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) بخلق آدم منه أوالاغذية التي يتكون منها المني (ثم من نطفة) مني من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهي فى الاصل قدرمايمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيهاولاعيب وغيرمسواة أوتامة وساقطة أومصورة وغيرمصورة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ماقبل التغيير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وان من قدر على تغييره وتصويره أولاقدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى أن أفعاله هذه يتبين بهامن قدرته وحكمته مالايحيط به الذكر (ونقر فى الارحام مانشاء) أن نقره (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء وقرمن قررت الماء اذاصببته وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أوللدلالة على الجنس أولانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا أشدكم) كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أوقبله وقرئ يتوفى أى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم (لكيلا يعلم من بعد علم شيا) ليعود كهيئته الاولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بمايعتري الانسان فى اسنانه من الامور

(قوله تعالى وان الساعة آتية الخ) ههنا اشكال وهو ان ذكر ذلك في قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فيدل النظم على أن خلق الانسان في أطوار مختلفة بسبب ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور لان قوله تعالى وان الساعة معطوف على ما سبق ولا يظهر لهذا الكلام معنى والجواب أن يقال والله أعلم ان ذلك اشارة الى احياء الارض بعد موتها وانشاء الانسان دليل على ان الساعة آتية الآية لان ما ذكر من أطوار خلق الانسان واحياء

الارض قرائن قيام الساعة و بعث الاموات ولذا ذكر في القرآن في بعض المواضع ذكر النشور بعد ذكر احياء الارض فقال تعالى فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور واعلم ان ما ذكر في هذا الموضع وان كان اقناعات لكن يكتفى بها لتحقق صدق القائل بالبعث واحياء الموتى فتكون هذه القرائن لازالة الوهم واطمئنان النفوس وأما قوله فان التغير من مقدمات الانصرام ففيه خفاء مع انه لا يخفى ان الجنة والدار الآخرة يقع فيها التغيرات مع عدم انصرامها (قوله بأن الله هو الحق) لم يتعرض لابراز ضمير الفصل المفيد للحصر فالاولى أن يقال انه دليل على ان الله تعالى فاعل للامور المذكورة لاغيره لأنه المتحقق بالذات المحقق للغير فان قيل الحق هو الموجود في نفسه واما أن يكون محققا للغير فلا يعلم من كونه تعالى حقا قلنا لما انحصر الوجود

المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ وربأت أي ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء (وأنه يحيي الموتى) وانه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة (وأنه على كل شيء قدير) لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وأن الله يبعث من في القبور) بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله (ولا هدى ولا كتاب منير) على أنه لا سند له من استدلال أو وحي أو الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثاني عطفه) متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد أو معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وأنه من حيث مؤداه كالغرض له (له في الدنيا خزي) وهو ما أصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات أو ارادة القول أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازيهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قر والا فر (فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه) روى أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب وعن أبي سعيد أن يهوديا أسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذ لا خسران مثله (يدعو من

دون

في نفسه فيه تعالى علم أن غيره لا يتحقق به لان ما لا تحقق له في نفسه أي بمقتضى ذاته لا يصلح أن يتحقق به غيره (قوله فالاولى لقصر الحكم) أي المستند وهو الوحي على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشيء أي المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أي الاله مقصور على الوحدة أي لا يتجاوزها الى الكثرة (قوله بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف) أي تحويلنا الانسان على أحوال متضادة في حال الحياة ثم موته بسبب ان الله يبعث من القبور فان البعث لا بد له من الموت السابق (قوله أو الاول في المقلدين الخ) لانه

ذكر فى الاول قوله تعالى ويتبع كل شيطان مريد (قوله واللام معلقة ليدعو الخ) حاصل كلامه فى هذا المقام ان يدعو بمعنى يعتقد واللام معلقة له عن العمل كما تعلق سائر أفعال القلوب واما بمعنى القول فتكون الجملة المذكورة بعده مقولا للقول واما أن يكون يدعو تأكيدا ليدعو الاول فيتم الكلام عنده ويكون لمن ضره أقرب من نفعه كلاما مستأنفا كان سائلا يقول ما حال المدعو الذى لا ينفع ولا يضر فاجيب بذلك (قوله والمراد بالنصر الرزق والضمير لمن) هذا التفسير فى غاية البعد اما أولا

دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد فى التيه ضالا (يدعو لمن ضره) بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (أقرب من نفعه) الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول أى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد) من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لادافع له ولا مانع (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك و يتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع) فليستقص فى ازالة غيظه أو جزعه بان يفعل كل مايفعله الممتلئ غيظا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام (فلينظر) فليتصور فى نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى مايقدر عليه (مايغيظ) غيظه أو الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلناه) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدى) ولان الله يهدى به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو اثباته أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل أو الجزاء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدله وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض) يتسخر لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره أو يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز أن يعم أولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار أحدهما الى أمر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره

فلانه لو فسر النصر بالرزق لا حاجة الى عود الضمير الى من بل يمكن أن يجعل للرسول كما جعل اذا كان النصر بمعناه الحقيقى واما ثانيا فلان ظن الشخص أن لا يرزق أصلا ليس له باعث فلا يصدر عن ذى رأى بل من له أدنى عقل فالوجه ان يقال معناه أن لن يرزقه الله بل يرزقه غيره حتى يكون رازقه غيره (قوله سماه على الاول كيدا) لان الكيد الاحتيال لايصال الضرر الى الغير لكن المعنى الاول يوصل الضرر الى نفس المحتال لا الى غيره فتسمية الفعل المذكور كيدا لانه غاية مايقدر عليه كما ان الكيد كذلك وانما قال على الاول اذ على الثانى وهو قوله وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا يكون الكيد على الحقيقة قال العلامة الطيبى الكلام على الاول كناية عن شدة الغيظ والامر للاهانة وعلى الثانى الكلام استعارة تمثيلية والامر بتعجيزه أقول انما كان كناية على الاول لانه يمكن أن يقصد معناه الحقيقى والمعنى الغير الحقيقى الذى هو شدة الغيظ وانما كان استعارة تمثيلية على الثانى لان المراد ليفعل كل مايتصور ان يفعل فيكون الامر للتعجيز لان ماذكر غير ممكن للانسان وعلى الاول للاهانة وهو ظاهر (قوله فان تخصيص الكثير) أى تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المراد بسجودهم غير المعنى الذى ذكر أولا وهو التسخير لقدرته اذ لو كان كذلك لم يكن للتخصيص بالكثير وجه لان الكل كذلك

وابائه عن الطاعة و يجوز أن يجعل وكثير نكرير اللاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة (هذان خصمان) أى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) حملا على المعنى ولو عكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه أو فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم أو خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به مافى بطونهم والجلود) أى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فتذاب به أحشاؤهم كما تذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار (أعيدوا فيها) أى فخرجوا أعيدوا والا ان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أى النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه وأسند الادخال الى الله تعالى وأكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا ألبستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف وأساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو اضمار الناصب مثل و يؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسى عن أبى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولليا بقلبهما ياءين ولول كأدل (ولباسهم فيها حرير) غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه أو عاقبته وهى الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى و يمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم وشراء عمر رضى الله عنه دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف

(قوله وكثير نكرير اللاول) فيكون حق عليه العذاب خبر كثير الاول أى وكثير من الناس حق عليه العذاب (قوله ولو عكس جاز) أى لو قيل هؤلاء الخصوم اختصما بالجمع أولا والتثنية ثانيا جاز أيضا (قوله أو من ضميرهم) أى الضمير فى قوله تعالى لهم غير الاسلوب لان الموافق للاسلوب السابق وهو قوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم الخ أن يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أدخلوا فى الجنة لكنه غيرالى ماذكر (قوله غير أسلوب الكلام الخ) أى الظاهر الموافق لما تقدم أن يقال و يلبسون حريرا لكنه غير الى ماذكر لمحافظة هيئة الفواصل اذ لو قيل يلبسون حريرا لكان فى آخر هذه الفاصلة الالف فى الكتابة وفى الوقف بخلاف الفواصل الباقية (قوله والا فحال من المستكن فيه) أى ان لم نجعل المذكورة مفعولا ثانيا لجعلنا بل جعل للناس مفعولا ثانيا تقديره جعلناه كائنا للناس كان الجملة المذكورة حالا من الضمير المستكن

بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يردفيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثاني بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب لمن (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أى واذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم (أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) أن مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهى أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرئ وآذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على أنه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى (فى أيام معلومات) هى عشر ذى الحجة وقيل أيام النحر (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها أمر بذلك اباحة وازاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندبا لى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوع به دون الواجب (وأطعموا البائس) الذى اصابه بؤس أى شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه (ذلك) خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له) فالتعظيم خير له (عند ربه) ثوابا (وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها العارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية

(قوله تعالى ومن يردفيه بالحاد بظلم) فائدة قوله بظلم بعد ذكر الالحاد انه قد يكون الالحاد أى العدول عن القصد قد يكون بحق لكونه فى مقابلة الظلم كما قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) فيكون معطوفا على مقدر مثل اقتد بابراهيم وأن كائنا (قوله أو ندبا الى مواساة الفقراء أو مساواتهم) الاحتمال الاول أن يكون الامر للاباحة لا للندب وهذا أن يكون للندب وترتب الثواب لما فيه من مواساة الفقراء أى التواضع معهم بجعل أنفسهم كالفقراء فى الاكل منه وانما قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم ولا يخفى ان عبارة الكشاف أحسن

(قوله ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة الخ) في كلامه ابهام وتوضيحه ما في الكشاف وهو انه يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب وان يكون من المفرد فان كان تشبيهامر كبافكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق مزعا في حوصلها أو عصفت به الريح حتى تبوأت في بعض المواضع البعيدة وان كان مفردا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة هذه عبارة الكشاف

المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء الرديئة توزع أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين (ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة من ذهب وان عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (فانها من تقوى القلوب) فان تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت أي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) ولكل أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا أو قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما (فالهكم اله واحد فله أسلموا) أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالاشراك

فطبق به ما ذكره المصنف (قوله فحذفت هذه المضافات) لا حاجة الى تقدير بعضها وهو أفعال ذوي بل يكفي أن يقال وتعظيمها منه من تقوى القلوب أي ما بين ههنا والجواب عنه انه لا يناسب ذكر القلوب على هذا التقدير بل المناسب حذفه (قوله وهو على الاولين الخ) هو ما ذكر في تفسير شعائر الله فهو دين الله أو فرائض الحج وتوضيحه ان قوله تعالى لكم فيها منافع الى أجل مسمى الآية على الاولين اما متصل بما تقدم من ذكر الانعام ويذكروا الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام لانه اذا كان المراد من الشعائر الدين أو فرائض الحج لا يظهر ارتباط هذه الآية وهو قوله تعالى لكم فيها منافع الآية بما سبق زيادة ظهور فيقال انه مرتبط بما تقدم من قصة الانعام وعلى هذا يكون الضمير في فيها راجعا الى الانعام واما أن يكون المراد من هذه الآية على التفسير الاول وهو تفسير الشعائر بالدين ما ذكر وهو ان المعنى لكم فيها منافع دينية الخ وعلى هذا يكون ضمير فيها راجعا الى الشعائر بمعنى شرائع الله ودينه ويكون المراد منها أي من هذه الآية على التفسير الثاني وهو تفسير الشعائر بفرائض الحج ومواضع نسكه ما ذكر بقوله لكم فيها منافع التجارات وعلى هذا يكون الضمير في فيها راجعا الى فرائض الحج ومواضع نسكه (قوله متعبدا الخ) يعني اذا قرئ بفتح السين يحتمل أن يكون اسم مكان وهو المتعبد وأن يكون مصدرا ميميا وهو القربان وأما اذا قرئ بكسر السين فهو اسم مكان

بالاشراك (وبشر المخبتين) المتواضعين أو المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم) ومن رفعه جعله مبتدأ (من شعائر الله) من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى أى خوالص لوجه الله وصوافى بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال (والمعتر) والمعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم أمره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا النعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) أى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح (على ما هداكم) أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (أذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أى للذين يقاتلهم المشركون (بأنهم ظلموا) بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوه به (الا أن يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

(قوله بل الحديث يمنع ذلك) لان ذكر البقرة بعد ذكر البدنة يدل على تغايرهما (قوله اعط القوس باريها) نقل الطيبى عن الميدانى ان معنى هذا المثل استعن على عملك باهل المعرفة والحذق فيه (قوله أو السائل الخ) يرد عليه أنه يلزم التكرار لان المعتر أيضا السائل والجواب ان القانع هو السائل المتواضع والمعتر السائل الغير المتواضع

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف (صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) بيع النصارى (وصلوات) كنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فعربت (ومساجد) مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) صفة للاربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين اذلم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره (ولله عاقبة الأمور) فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) تسلية له صلى الله عليه وسلم بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع (فأمليت للكافرين) فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا (فكأين من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم (وهى ظالمة) أى أهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أى هى خالية وهى على عروشها أى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأى بمقدر يفسره أهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع (وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم (فانها) الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر أقيم مقامه (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك

(قوله اذلم يستجمع ذلك غيرهم) هذا الاختصاص ناشئ من التمكين فى الارض (قوله قرأ البصريان بغير لفظ التعظيم) أى قرأ بصيغة المتكلم الواحد (قوله فيكون الجار متعلقا بخاوية) هذا على التقديرين المذكورين (قوله فانها حال والاهلاك ليس حال خرابها الخ) أى قوله تعالى وهى ظالمة حال ولو كان خاوية على عروشها معطوفا عليها لكان حالا أيضا وليس كذلك (قوله فلا محل لها ان نصبت كأين الخ) لانه اذا نصب بما ذكر كان اهلكتها جملة مستقلة وأما اذا رفع كأين كان أهلكتها خبرا فيكون مرفوعا محلا وكأين عطف عليه (قوله حث لهم على أن يسافروا الخ) فيكون هذا الاستفهام تنديما على عدم السفر فيكون حثا عليه كما يقال ألم تعلم العلم تنديما للمخاطب على ترك التعلم وحثا عليه (قوله وهذا ثناء قبل بلاء) قال فى الكشاف وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا (قوله والظاهر أقيم مقامه) يعنى يكون الابصار فاعلا لتعمى قائما مقام مفسر الضمير المبهم أى يدل عليه فهذا هو الاحتمال الثانى وحاصل الاحتمال الاول أن تكون الابصار مفسر اللضمير حقيقة ويكون التقدير هكذا فانها هى الابصار لا تعمى فتكون الابصار بيانا للضمير ورفعه باعتبار أصل متبوعه الذى هو الرفع بالابتداء قال الرضى بعد ما قرر أن المعطوف على اسم ان يجوز فيه الرفع باعتبار الحمل على المحل ان حكم الوصف وعطف البيان والتأكيد والبدل عند الجرمى والزجاج والفراء جواز الحمل على المحل كالمعطوف ولم يذكر غيرهم فى ذلك منعا والاصل الجواز ولا فارق

(قوله ونفي التجوز) يعني لولم يذكر التي في الصدور لأمكن أن يذهب الوهم الى أن المراد من القلوب بعض المشاعر غير الابصار ولما ذكر زال احتمال التوهم (قوله قيل لما نزل الخ) من فوائد نزول هذه التي نحن في تفسيرها بعد نزول ما تقدم أن يعلم ان المراد من العمى ليس عمى البصر بل عمى القلب فيزول خوف ابن أم مكتوم (قوله أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة) فيكون معناه أن ما يعدونه كألف سنة لسبب شديد هو عند الله في القصر كيوم (قوله مبالغة في التعميم والتهويل) لان الكلام بحسب الظاهر يفيد هلاك القرية فضلا عن أهلها وهلاك القرية يدل على هلاك أهلها مطلقا ويوجب الهول للدلالة على شدة العذاب (قوله على أنه حال مقدرة) فيكون المعنى مقدرين اعجازهم المؤمنين (قوله الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة الخ) يلزم منه كما صرح به أن لا يكون أنبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى رسلا لكن الامام رد على من

فسر الرسول بأنه من جمع الى المعجزة الكتاب

والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يارسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت فانها لا تعمى الابصار (ويستعجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء (وكأين من قرية) وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة وأن تأخيره لعادته تعالى (أمليت لها) كما أمهلتكم (وهي ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والي المصير) والى حكمي مرجع الجميع (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما بدر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا في آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة (أولئك أصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير

والنبي من لم ينزل عليه كتاب فقال يلزم منه ان اسحق ويعقوب وأيوب ويونس وهرون وسليمان لم يكونوا رسلا وأقول هذا يرد ما قاله المصنف لان الانبياء المذكورين صلوات الله عليهم كما لم يكونوا أصحابا للكتب المنزلة عليهم لم يكونوا أصحاب الشرائع المجددة فان قيل ما ذكره المصنف مخالف لصريح القرآن حيث قال تعالى وان يونس لمن المرسلين قلت المعنى المذكور للرسول اصطلاحي وأما قوله تعالى لمن المرسلين فبالمعنى اللغوي ثم ان الامام قال الاولى أن يقال من جاءه الملك ظاهرا وأمر بدعوة الخلق فهو رسول ومن رأى في النوم وأخبره رسول بأنه نبي فهو نبي أقول

ظاهر هذه العبارة يدل على أن بين الرسول والنبي تباينا وليس كذلك لانه خلاف القرآن والحديث أما الاول فلما ذكر الله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وأما الحديث فلما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان عدد الرسل منهم أي من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر فعلم ان مراد الامام تعريف النبي غير الرسول واعلم أن الآية المذكورة ترد على المصنف لان اسمعيل لم يكن له شريعة مجددة بل على شريعة أبيه ابراهيم عليهما السلام فالوجه أن يقال ان تعريف مطلق النبي انه من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق أو رأى في النوم وأخبره نبي آخر أنه نبي وهذا أولى مما قاله الامام انه أخبره رسول أنه نبي وهذا الذي ذكرنا من العموم المطلق بين النبي والرسول هو المشهور بين الجمهور وقال الشيخ الكامل صاحب الفتوحات وقد خالفهم وذهب الى أن بينهما عموما من وجه فقال كل رسول لم يخص بشيء من الحكم في نفسه فهو رسول لا نبي وان خص

مع التبليغ فهو رسول الله ونبي (قوله لانه أيضا يحتمله) أي يحتمل أن يكون هذا الكلام أيضا من الشيطان على التقدير المذكو
ولك أن تقول لم لا يجوز أن يرفع النبي الاجمال بأن يقول هذا قرآن وذلك من كلام الشيطان وقريب

الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحي اليه في المنام (الا اذا تمنى) زور في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومنات الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بانه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقي الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق بعيد) عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن أو بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادي الذين آمنوا) فيما أشكل (الى صراط مستقيم) هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه (ولا يزال الذين كفروا في مرية) في شك (منه) من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها (حتى تأتيهم الساعة) القيامة أو اشراطها أو الموت (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على أن المراد بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ لله) التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم (يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على أن اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين

منه ما ذكره في تفسير النسخ بقوله فيبطله ويذهب به بعصمته (قوله علة لتمكن الشيطان منه) الظاهر ان معناه انه علة لتمكن الشيطان من الالقاء في أمنية الانبياء المتقدمة لكن الاولى أن يجعل المعنى انه علة لتمكن الشيطان من النبي صلى الله عليه وسلم أي مما فعله به من الامور المذكورة التي جوزها في شأنه من تمني زوال المسكنة وغيره فيكون التقدير ومكنا الشيطان مما فعل من الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان الآيتين وانما قدر هذا لانه اذا لم يقدر هكذا فيكون الجعل والعلم المذكوران في قوله ليجعل وليعلم سببين لالقاء الشيطان في أمنية الرسول والنبي من الرسل والانبياء المتقدمين عليه صلى الله عليه وسلم لكن هذا الالقاء أي القاء الشيطان في أمنية الانبياء ليس لحصول علم العلماء بأن القرآن حق بقي ههنا ان قوله أو تمكين الشيطان من الالقاء الخ لا يظهر له وجه فليتأمل في هذا المقام والاولى أن يقال والله أعلم

ان المعنى ليجعل ما يلقي الشيطان في أمنية الانبياء والرسول فتنة للذين في قلوبهم مرض وليعلم الذين أوتوا العلم ان احكام مسبب الآيات ونسخ ما يلقي الشيطان هو الحق من ربك فيؤمنوا به أي باحكام الآيات ونسخ ما يلقي الشيطان قاله صاحب الفوائد (قوله تعالى فالذين آمنوا الآيتين) لا يخفى أن هاتين الآيتين دالتان على أن اليوم يوم القيامة والبعث فالاولى الاقتصار على ما فسره آخرا وهو تفسيره

مسبب عن أعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف أنفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل روى أن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فنزلت (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة فيها ما يحبونه (وان الله لعليم) باحوالهم وأحوال معادهم (حليم) لا يعاجل فى العقوبة (ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج أولانه سببه (ثم بغى عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لامحالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام وأعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر (بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج أحد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى أفعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الامن كان قادرا عالما (وأن ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه فى معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم فى حد ذاته أو باطل الالوهية (وان الله هو العلى) على الاشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر منه سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على أنزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما فى قولك ألم تر أنى جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه أو لطفه الى كل ما جل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى فى البحر بامره) حال منها أو خبر (ويمسك السماء أن تقع على الارض) من أن تقع أو كراهة أن تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار (وهو الذى أحياكم) بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء أجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود لنعم الله مع ظهورها (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا

اليوم بيوم القيامة ولا وجه لما ذكره صاحب الكشاف ولا يلزم المعنى الذى ذكر بل يلزم من نصبه أن يكون مشاركا لقوله ألم تر تابعا له ولم يك تابعا الانزال ويكون مع ناصبه مصدرا معطوفا على المصدر الذى تضمنه ألم تروهو الرؤية والتقدير ألم يكن لك رؤية وانزال الماء من السماء واصباح الارض مخضرة وهذا غير مراد من الآية بل المراد أن يكون اصباح الارض مخضرة بانزال الماء فيكون حصول اخضرار الارض تابعا للانزال وقال العلامة الطيبى ينصره قول أبى البقاء انما رفع فتصبح وان كان قبله لفظ الاستفهام لأمرين أحدهما انه استفهام بمعنى الخبر أى قد رأيت فلا يكون له جواب والثانى ان ما بعد الفاء ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورؤيته لانزال الماء لا توجب اخضرار الارض انما يجب عن الماء أقول على تقدير النصب يمكن حصول المعنى المراد بأن يقال المعنى واحتياج الارض مخضرة بتقدير الجار والمجرور ٧ (قوله فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية) لا يلزم من التساوى فى الجسمية قبول الميل اليها أى الى الارض اذ يمكن أن يكون فيه مانع منه

أوشريعة تعبدوا بها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه (فلاينازعنك) سائر أرباب الملل (فى الامر) فى أمر الدين أو النسائك لانهم بين جهال وأهل عناد ولان أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أوعن منازعتهم كقولك لايضارنك زيد وهذا انما يجوز فى أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلاينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيمة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم ان الله يعلم مافى السماء والارض) فلايخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلايهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وماليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله (وماللظالمين) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقية والاحكام الالهية (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لفرط تنكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو مايقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم (النار) أى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا أوحالا منها (وبئس المصير) النار (ياأيها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة أوقصة رائعة ولذلك سماها مثلا أوجعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه أذبة وذبان (ولواجتمعوا له) أى للخلق هو بجوابه المقدر فى موضع حال جىء به للمبالغة أى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق أقل الاحياء وأذلها ولواجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) عابد الصنم ومعبوده أو

مبتدأ محذوف (قوله أوحالا منها) عطف على قوله استئنافا أى اذا جعلت النار بدلا من شر كانت الجملة المذكورة حالا من الشر (قوله لان لن بما فيها الخ) أى انما فسرنا قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا بقولنا لايقدرون للمنافاة المذكورة فتكون لن ههنا للمنافاة بين الخلق وبين الاصنام وافق المصنف الكشاف فيما ذكر وقال صاحب الفوائد النفى المؤكد لايدل على الامتناع ولكن يحتمله ولما كان محتملا له حمل عليه لقرينة سوق الكلام لانه أمكن ذلك منهم لايحصل الاستبعاد المذكور والمبالغة فى تجهيلهم واستركاك عقولهم وقال العلامة الطيبى هذا هو الحق لان مقصود الزمخشرى من اثبات الاستحالة تقرير مذهبه فى قوله تعالى لن ترانى وقد استشهد بهذه الاية على مطلوبه فى ذلك المقام (قوله بجوابه المقدر فى موضع حال) لايخفى ان جعل هذه الجملة بمعنى مجتمعين متعاونين يوجب زيادة تقدير الجواب لان ماذكر معنى لواجتمعوا فقط وهذا مما يؤيد قول الرضى ان هذه الواو ليست حالية ولاعاطفة بل اعتراضية فتكون هذه جملة مستقلة لها نوع ارتباط بالجملة

المتقدمة مؤكدة له (قوله أو الذباب يطالب ما يسلب عن الصنم) فيكون الطالب الذباب والمطلوب ما يسلبه من الصنم

أو الذباب يطالب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أو الصنم والذباب كأنه يطالبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) لا يغلبه شئ وآلهتهم التى يعبدونها عاجزة عن أقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى أن يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقرير اللنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله تعالى ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) عالم بواقعها ومترقبها (والى الله ترجع الامور) واليه ترجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم أمرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها (وجاهدوا فى الله) أى لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد (ملة أبيكم ابراهيم) منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أى وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أو لان أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من

وتحصله والعبارة المفصلة به واحد والتفاوت فى التقرير (قوله أو لانهما أعظم أركانها) فيه نظر فقد قال الامام النووى رحمه الله فى الاذكار اختلف العلماء فى السجود فى الصلاة وفى القيام أيهما أفضل فمذهب الشافعى رحمه الله ومن وافقه أن القيام أفضل لقول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت ومعناه القيام ولان ذكر القيام هو القرآن وذكر السجود هو التسبيح والقرآن أفضل وذهب بعض العلماء الى أن السجود أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة) أى كان لفظ الحق مؤخرا فى الاصل صفة للجهاد فقدم عليه وأضيف اليه مبالغة ووجه المبالغة أن الامر بالصفة وهى الحق ههنا أمر بالموصوف لان الصفة لا يتيسر فعلها بدونه فكان الامر بالحق متضمنا للامر بالجهاد وأما الامر بالموصوف فليس أمرا بالصفة لان الموصوف قد لا يستلزمها فالامر بالصفة أمر بموصوفها بخلاف الامر بالموصوف (قوله فأضيف الجهاد اتساعا)

أى كان الاصل حق جهاد فيه فحذف لفظ فى وأضيف الحق اتساعا كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامر (قوله متعلق بقوله سماكم) أى سماكم

عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فتقربوا الى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به فى مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنين﴾ مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقرّبه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة أكلونى البراغيث أو على الابهام والتفسير وأفلح بالضم اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) عما لا يعنيهم من قول أو فعل (معرضون) لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكوة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروأة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أو الثانى على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لا يبذلونها (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسى أو حال أى حافظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج أو التسرى أو بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك أصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة أشهى الملاهى الى النفس وأعظمها خطرا (فانهم غير ملومين) الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أى فان بذلوها لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج

ووصفكم بهذه الصفة الكريمة التى هى صفة الاسلام انحصر شهادة الرسول عليكم وتكونوا شهداء على الناس أى وصفكم بهذه الصفة والطاعة سبب لشهادة الرسول عليكم بهما فان قيل يعلم من الآية ان ما ذكر سبب لانحصار شهادة الرسول عليكم حتى لا يكون شهيدا على غيركم اذ لو كان شهيدا على غيركم لا تكون حاجة الى شهادتكم وهذا ينافى ماقال فى تفسير قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ان المراد بهؤلاء الشهداء الذين هم الانبياء قلنا المفهوم منها انه عليه السلام لا يكون شهيدا على غيرهم من الامم واما انه لا يكون شهيدا على الانبياء فلا فان قيل ليس تسميتهم بالمسلمين سببا لشهادة الرسول عليهم وانما سببها اسلامهم نفسه لا تسميتهم به قلنا تسمية الله تعالى اياهم بالمسلمين حكم على اسلامهم عند وجودهم فهو فى الحقيقة سبب لاسلامهم وعلى هذا ظهر ان تسمية الامة بالصفة المذكورة سبب لكون الرسول شهيدا عليهم

﴿سورة المؤمنين﴾

(قوله أن يكون فى عرض غير عرضه) وفى الصحاح العرض بالضم ناحية الشئ (قوله وعلى صلة لحافظين الخ) هذه الوجوه المذكورة لا يتضح منها معنى على والوجه أن يقال انه صلة للمقدر الذى هو بذلوها كما ذكر أو يقال المعنى حافظون الا على حال الوقوع على أزواجهم وقد قلد فيما ذكره صاحب الكشاف والعجب انه قدر الكلام هكذا الذين هم لفروجهم غير حافظين الا على أزواجهم وظاهر هذا الكلام عكس المعنى المراد والاولى أن يقال على بمعنى مع والتقدير حافظون الا كائنين مع أزواجهم وكون على بمعنى مع مما صرح به صاحب المغنى

لامانتهم

لأماتهم على الافراد لأمن الالباس أو لانها فى الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها و يؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها (أولئك) الجامعون لهذه الصفات (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) أنث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بأن صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقى من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد أحدهما وجمع الآخر (ثم أنشأناه خلقا آخر) وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخة فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته (أحسن الخالقين) المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيمة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه و يقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد

(قوله وصف به المحل للمبالغة الخ) يعنى أن المكين صفة للمظروف جعل صفة للظرف مبالغة فى اتصاف الظرف بالحصانة فكان هذا الظرف متمكن فى مكان كان اتصافه بالقرار مبالغة لانه اتصاف بالمصدر (قوله لتفاوت الاستحالات الخ) أى ايراد الفاء فى بعض المواضع وثم فى بعضها يدل على ماذكر من التفاوت فان استحالة السلالة الى النطفة واستحالة النطفة الى العلقة يبعد بالنسبة الى استحالة العلقة وهى الدم الجامد الى المضغة وهى اللحم الممضوغ فاستعمل ثم للاشارة الى البعد المذكور و يرد عليه ان استحالة المضغة الى العظام أيضا بعيد جدا مع انه عطف بالفاء و يمكن أن يقال لما أورد الفاء فى قوله تعالى فخلقنا النطفة علقة أورد الفاء بعده أيضا ليكون على طريقة واحدة اشعارا بأن هذه الاستحالة فى هذه المدة القصيرة كأنها ليس فيها تراخ اذ هذه الاستحالة بحسب الظاهر تستحق أن تكون فى أزمان متطاولة فتأمل (قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون) فان قلت لم جىء بان واللام وبالاسم سيما الصفة المشبهة فيما ليس فيه الانكار فى وجه وأتى فيما فيه الخلاف بان وحدها أجاب عنه العلامة الطيبى بأن الكلام فى ابداع تلك الخلقة العظيمة الشأن وان لها حياة أبدية لا يصل اليها أحد الا بالموت وتلك الحياة هى المقصود من خلقها لكن تلك الحياة مشكوك فيها فأكد بذلك الاعتبار قلت هذا الكلام لا يخلو من ابهام والاوضح أن يقال ان الخلق لتماديهم فى الغفلة نزلوا منزلة المنكرين للموت كما تقرر فى العربية من ان غير المنكر قد يجعل منزلة المنكر لظهور أمارات الانكار عنه ولما أكد بتلك التأكيدات ما هو وسيلة لا حاجة الى تلك المرتبة فيما هو المقصود وهو البعث

أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والاعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشأنا لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) أي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحباله ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو امامن أنبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما في بطونها) من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وأصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

* سفينة بر تحت خدي زمامها * فيكون الضمير فيه كالضمير في بطونهن أحق برده (وعلى الفلك تحملون) في البر والبحر (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (ما لكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء الله) أن يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يعنون نوحا عليه السلام أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله سبحانه وتعالى ونفي اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم أو لانهم

(قوله وفي تنكيره ذهاب الخ) لان التنكير يدل على الوحدة فيكون معناه على فرد واحد عظيم من الذهاب فيدل على أن للذهاب أفرادا متعددة بخلاف ما لو عرف ولفظ غورا في قوله تعالى ان أصبح ماؤكم غورا صريح في فرد خاص من الذهاب وهو ذهابه في عمق الارض بخلاف الذهاب فانه شامل له ولغيره من الانواع المذكورة والمبالغة باعتبار أن الذهاب شامل الازالة بالكلية بخلاف الغور (قوله فيكون الضمير في قوله كالضمير في بطونهن) فان فيه أيضا يرجع الضمير الى شخص واحد مخصوص من المذكور قبل وهو المطلقات الرجعية

كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) أى جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعد ما أيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم أو بانجاز ما وعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى أو بسببه (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء أمرنا) بالركوب أو نزول العذاب (وفار التنور) روى أنه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم فى سقر (من كل زوجين اثنين) من كل أمتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد (وأهلك) وأهل بيتك أو من آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم) أى القول من الله تعالى باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو فى الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير فى الدارين على قراءة أبى بكر وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال (وأنت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما أفرده بالامر والمعلق به أن يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها و يعتبر أولو الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد أو ثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما أوحى اليه وهو بين أظهرهم (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ما هذا الا بشر مثلكم) فى الصفة والحالة (يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به (انكم اذا لخاسرون) حيث أذللتم أنفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من الاجداث أو من العدم تارة أخرى الى الوجود وأنكم تكرير للاول أكد به لما طال الفصل بينه و بين خبره أو انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول أى انكم اخراجكم اذا متم أو انكم اذا متم وقع

(قوله أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه) أى أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بأن يشفع الدعاء وهو قوله رب أنزلنى بالثناء وهو قوله تعالى وأنت خير المنزلين مبالغة فى الامر بالانزال لان فى لفظ وأنت خير المنزلين اشعارا بطلب الانزال

اخراجكم ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا أن يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق أو الصحة (لما توعدون) أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير و بالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل و بالكسر على الوجهين و بالسكون على لفظ الوقف و بابدال التاء هاء (ان هي الاحياتنا الدنيا) أصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس (نموت ونحيا) يموت بعضنا و يولد بعض (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ما هو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم لي منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياي (قال عما قليل) عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء و بعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) هي قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (وما يستأخرون) الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائي (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم نبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم و يجوز أن يراد به العصا وافرادها لانها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات و بالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم (الى فرعون وملائه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة

(قوله ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا الخ) أي يجوز أن يكون خبر ان الاولى محذوفا لدلالة خبر ان الثانية عليه ولا يجوز أن يكون خبر الاولى هو الظرف وهو اذا متم لان الظرف لا يصح أن يكون خبرا للجثة وهو اسم انكم

وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى أصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان أغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن أن يكون فى طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم فى أكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم و يعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه أشار بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغرافهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) أرض بيت المقدس فانها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها (ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى الشئ أو من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا أدركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لاعلى انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا و يكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالايعصى الله فيه والصافى مالاينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس و يحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وأن هذه) أى ولان هذه والمعلل به فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى الاعتقاد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب أمة على الحال (وأنا ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا أمرهم بينهم) فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أو لها (زبرا) قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة و يؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون أنهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أولاعبون بها وقرئ فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به) أن مانعطيهم ونجعله لهم مددا (من مال وبنين) بيان لما وليس خبرا له فانه

(قوله والمعلل به فاتقون) أى اتقون لان هذه أمتكم أمة واحدة فيكون فاتقون عطفا على اتقون المقدر تأكيدا والمعنى انه لما كانت العقائد الصحيحة التى يجب أن يعتقدها كل أحد واحدة لاتختلف باختلاف الامم والاعصار ثبت التوحيد والبعث والجزاء فيجب التقوى على الكل (قوله وقيل انه معطوف على ماتعملون) والتقدير انى عليم بما تعملون و بأن هذه أمتكم امة واحدة (قوله والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أولها) فالاول على تقدير ان يكون المراد من الامة الملة والثانى على تقدير أن يكون المراد منها الجماعة (قوله بتقدير مثل كتب) فيكون المعنى فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أى كتبا أى حال كون ذلك الامر كتبا فى كتب

غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم خبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع و يسرع و يحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به و يسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا من الطاعات (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به (أنهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه أو من أن مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون (ولا نكلف نفسا الا وسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يريد به اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع (وهم لا يظلمون) بزيادة عقاب او نقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة (ولهم أعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك (هم لها عاملون) معتادون فعلها (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة (اذا هم يجأرون) فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى و يجوز أن يكون الجواب (لا تجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لا تجأروا اليوم (انكم منا لا تنصرون) تعليل للنهى أى لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله (سامرا) أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه أو الهجر بالضم أى الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) أى القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل وأعقابه فآمنوا به و بكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء

(قوله و يجوز أن يكون الجواب اذا هم يجأرون الخ) فعلى هذا يكون اذا هم يجأرون معطوفا على قوله تعالى اذا أخذنا بحذف العاطف كما جوزه بعضهم فى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم الآية أو على كونه بدلا من الجملة المذكورة اذ لا وجه له غيرها (قوله ووضوح مدلوله) فيه ان وضوح مدلوله لم يدل على كونه من الرب تعالى لان كثيرا من كلام الناس واضح المدلول والجواب ان المراد من المدلول كونه لا من كلام البشر فانه يفهم من مدلوله انه ليس كذلك فالمقصود من وضوح المدلول وضوح كونه لا من كلام الناس والاولى ان يقال ان وضوح مدلوله كونه على أحسن منهاج وأوضح طريق بحيث من تأمل مدلول معانيه يتضح له انه ليس من جانب البشر وحاصله وضوح مدلوله من حيث انه ليس من جانب البشر لان فيه معانى مترتبة لا يصل اليها فهم البشر باستقلاله فيكون معجزا من حيث اللفظ والمعنى

عليهم الصلاة والسلام (فهم له منكرون) دعواه لأحد هذه الوجوه اذ لاوجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (أم يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلا وأدقهم نظرا (بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق (ولو اتبع الحق أهواءهم) بان كان فى الواقع آلهة شتى (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ماقام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بان أنزل مايشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على أصل المعتزلة (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو وصيتهم أو الذكر الذى تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم) قيل انه قسيم قوله أم به جنة (خرجا) أجرا على أداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا أو ثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة فى هذه الآيات بأن حصر أقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم) بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته (وما يتضرعون) وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ماقبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه أشد من القتل والاسر (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك (وهو الذى أنشألكم السمع والابصار) لتحسوا بها مانصب من الآيات (والأفئدة) لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية

(قوله فان انكار الشئ قطعا الخ) يعنى لما كان الانكار للشئ ينبغى أن يكون بسبب ظهور امتناعه أو بسبب البحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد ولم يكن أحد هذين الامرين متحققا فيما نحن فيه فيجب أن يكون انكارهم لاحد الأمور المذكورة فتحصل ماقاله ان انكارهم لابد أن يكون لاحد الأمور الثلاثة اذ لو لم يكن لواحد منها لزم أن يكون لواحد من هذين الأمرين المذكورين وهما منتفيان ههنا فان قوله تعالى فهم له منكرون مشعر بتوبيخهم بانكار رسولهم لان انكارهم ناشئ من أحد الوجوه المذكورة وهى لا ينبغى ان تكون سبب الانكار وحق العبارة أن يقال لاحد هذه الوجوه التى لا تصلح للانكار فان انكار الشئ قطعا أو ظنا الخ انما يتجه الخ فانه لظهوره لم يذكره (قوله وقيل لو اتبع الحق أهواءهم الخ) الفرق بين هذا المعنى وبين المعنى الاول ان المعنى الاول هو انه لو كان الواقع فى الاصل موافقا لاهوائهم لفسدت السموات والارض وهذا المعنى هو انه لو صار الحق تابعا لأهوائهم بعدما كان على خلافها لزم الفساد فعلى المعنى الاول اتباع بمعنى الموافقة فى الاصل وعلى الثانى الموافقة بعد المخالفة ولذا قال وانقلب باطلا (قوله وهو على أصل المعتزلة) أى على قاعدتهم ان الله لا يصلح أن يوجد منه الكفر والمعاصى اذ هو ظلم ونقص تعالى الله عنه وأما أهل السنة فهم ينكرون القاعدة المذكورة وهذا بحث مذكور فى علم الكلام (قوله بان حصر أقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام الخ) وهى أى هذه الاقسام هى التى ذكرت من قوله تعالى أفلم يدبروا القول الى ههنا فان تدبر القول حاصل لهم لانهم علموا الاعجاز ويعرفون ان الانبياء كانوا قبل ذلك ويعرفون رسولهم وأنكر كونه مجنونا وسؤال الخرج منهم

(قليلاما تشكرون) تشكرونها شكرا قليلالان العمدة فى شكرها استعمالهافيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غيراشراك وماصلة للتأكيد (وهو الذى ذرأكم فى الارض) خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيي و يميت وله اختلاف الليل والنهار) ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون رد النسبته الى الشمس حقيقة أولامره وقضائه تعاقبهما أوانتقاص أحدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل أن الكل مناوأن قدرتنا تعم الممكنات كلهاوأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا) أى كفار مكة (مثل ماقال الأوّلون) آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكناترابا وعظاما أئنالمبعوثون) استبعاداولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك أيضاترابا فخلقوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الاأساطير الأوّلين) الاأكاذيبهم التى كتبوها جمع أسطورة لانه يُستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم أومن العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوامثل هذا الجلى الواضح الزاما بمالايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك أخبرعن جوابهم قبل أن يجيبوافقال (سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بأنه خالقها (قل) أى بعد ماقالوه (أفلا تذكرون) فتعلمون أن من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادهاثانيا فان بدء الخلق ليس أهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانها أعظم من ذلك (سيقولون لله) قرأ أبو عمرو و يعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلاتشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شئ) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء و يحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث أحد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الأدلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث أنكروا ذلك (مااتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة أحد (وما كان معه من اله) يساهمه فى الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه أى لوكان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لماسبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو و يعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اماترينى) ان كان لابد من أن ترينى لان ما والنون للتأكيد (مايوعدون) من العذاب فى الدنيا والآخرة (رب فلاتجعلنى فى القوم الظالمين) قرينالهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أولان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون

(قوله الخطاب السابق) هو قوله تعالى تحشرون وما تقدم عليه والغرض انه اذا قرئ بالتاء الفوقانية فالخطاب للكفار واما اذا قرئ يعقلون بالياء التحتانية فيكون هذا الكلام فى الكفار والخطابات السابقة يدخل فيها الكفار مع تغليب المؤمنين على الكفار اذلو كان المراد من المخاطبين السابقين الكفار لكان المناسب تعقلون بالخطاب (قوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق الخ) يفهم منه ان ماذكر مقتضى صفة الملك والسلطنة ولولم يقع لكان لعارض اماضعف اوخوف أونحو ذلك مما ينافى الألوهية

أولانا لانعذبهم وأنت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر أو فتح مكة (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن أعلم بما يصفون) بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل الينا أمرهم (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك رب أن يحضرون) يحوموا حولي في شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها أحرى الاحوال بأن يخاف عليه (حتى اذا جاء أحدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم و يغريه على الانتقام أو بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على مافرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا وأطرقا (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذي تركته أي لعلي آتي بالايمان وأعمل فيه وقيل في المال أو في الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعادها (انها كلمة) يعني قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) أمامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم و بين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم أنه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفخ في الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو و به و بكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه أو يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده وأعماله أي فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) على اضمار القول أي يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا سكوت هوان في النار فانها ليست

مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته خسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب أولا تكلمون رأسا
قيل ان أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا
ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فيقولون ألفا يامالك ليقض علينا
ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم
تكونوا أقسمتم من قبل فيقولون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون ألفا
رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم فيها لا زفير وشهيق وعواء (انه) ان الشأن وقرئ
بالفتح أى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة
(يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة
والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) من
فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى أوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى
جزيتهم اليوم بما صبروا) على أذاكم (أنهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين
به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) أى الله أو الملك المأمور
بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار (كم لبثتم
فى الارض) أحياء وأمواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم)
استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أو لانها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار
أو لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عد أيامها ان أردت
تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون
أعمار الناس ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون مانقول
والعاديين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون (قال) وفى قراءة حمزة والكسائى قل (ان
لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) تصديق لهم فى مقالهم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) توبيخ
على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين أو مفعول له أى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما
خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق)
الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون
حال (لا اله الا هو) فان ما عداه عبيد له (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام وينزل منه
محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على
أنه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا أو اشراكا (لا برهان له به) صفة أخرى
لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا
دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما
حسابه عند ربه) فهو مجازله مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشأن وقرئ بالفتح
على التعليل أو الخبر أى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح

(قوله أى لانه كان فريق من عبادى يقولون ربنا الآية فاتخذتموهم سخريا) فالتعليل باعتبار الاتخاذ المذكور (قوله افرادا
أو اشراكا) لايخفى ان الافراد عبارة عن أن يعبد الله وهذا مناف المعية فالوجه أن يكون مخصوصا
بالاشراك ويمكن أن يقال
أراد بالافراد أن يكون
الاله الاول منفردا
مستقلا ومن الاشراك
خلق الاشياء بان يكون
شريكا لله فى الخلق والايجاد
ثم ان ههنا أسئلة الاول
لم لم يقل ومن يدع
الها غير الله الثانى ان
الغيرية مستفادة من المعية
فما فائدة لفظ الآخر الثالث
ما فائدة لفظ لا برهان له به
مع ان من المعلوم ان لا برهان
على وجود اله غير الله بل
البراهين قاطعة على امتناعه
والجواب عن الاول انه
لو قيل ومن يدع الها غير
الله يمكن أن يتوهم ان
افراد غير الله بالعبادة مذموم
لا الاشراك وأيضا فى المعية
اشعار بوجوب دعوة الله
بخلاف ما اذا قيل ومن
يدع غير الله وعن الثانى
ان المعية تحتمل أن يفهم
منه المغايرة الاعتبارية
وهذا ليس بممنوع وأما اذا
قيل الها آخر بعد ذكر
المعية تكون المعية محمولة
على المطلق والتقييد بالآخر
للدلالة على المغايرة بالذات
اذ لو لم يكن المراد ذلك
لكان ذكره مستدركا
والاولى أن يقال ان ذكر لفظ الآخر للتصريح بالوهيته تعالى اذ لو قيل ومن يدع مع الله الها لكان عن
ألوهية غيره مذكورا دون ألوهيته فلا يكون صريحا فى نفى الشرك وعن الثالث توبيخ المشركين بانهم عبدوا آلهة لا برهان لهم
لان عبادة شئ لا تثبت الوهيته غاية الجهالة ونهاية الحماقة

عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿ سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة) أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة (أنزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر اتل أو دونك أو نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (الزانية والزاني) أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنهما معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وإنما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله في العبد ثلاثة أقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام أيضا وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم (ولا تأخذكم بهما رأفة) رحمة (في دين الله) في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فإن الايمان يقتضي الجد في طاعة الله تعالى والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فإن المشاكلة علة للالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ

﴿سورة النور﴾
(قوله وكان حق المقابلة أن يقال) حتى يكون الحكم من الجانبين من جانب الزاني بأنه لا يميل إلا إلى الزانية ومن جانب الزانية بأنها لا تميل إلا إلى الزاني

بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية أن يزني بها الا زان وهو فاسد (والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لان قذف النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولا تقبلوا لهم شهادة) أي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده (أبدا) ما لم يتب وعند أبي حنيفة الى آخر عمره (وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا) عن القذف (من بعد ذلك وأصلحوا) أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن الا بمعنى غير (فشهادة أحدهم أربع شهادات) فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة احدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) في الرمي هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) أي الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماني به (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب أن لعنة الله وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) بأبلغ ما يكون من الكذب من الأفك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار

(قوله وقيل المراد بالنكاح الخ) هذا اذا كان المراد من لا تنكح النهي واذا كان المراد النفي فلا يلزم ما ذكر فقيل الاولى أن يقال اذا كان النفي بمعناه والمراد الوطء يلزم كون الكلام خاليا عن الفائدة فتأمل (قوله لوصف المقذوفات) أي القرينة لتحصيل القذف بالزنا وصف المقذوفات بالاحصان (قوله ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل الخ) فيه نظر لان الحد ثابت لا يسقط بالتوبة وأما قوله لان من تمام التوبة الخ فلا يدفع النظر لانه اذا استسلم للحد لا يسقط الحد فالوجه أن يقال ان الاستثناء راجع الى قوله ولا تقبلوا كما قال العلامة الطيبي لان الامام الشافعي جعله متعلقا به ونقل عن ابن الحاجب ان رجوع الاستثناء الى الجمل كلها ليس بمستقيم أما الجلد فلم يرجع اليه بالاتفاق وأما قوله وأولئك فانما جيء به لتعليل منع الشهادة فلم يبق الا قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا (قوله وعلق العامل عنه) والتعليق باعتبار ان الشهادة قريبة من العلم لانها مبنية عليه (قوله لانه مأفوك عن وجهه) أي مصروف عما ينبغي ان يكون عليه

قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها أنها داخلة الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة أحدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى رضى الله تعالى عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبران وقوله (لاتحسبوه شرا لكم) مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم والهاء للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة أو فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف أهم فان التحضيض على أن لا يخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالا حجة عليه كذب عند الله أى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم (لمسكم) عاجلا (فيما أفضتم) خضتم (فيه عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد (اذ) ظرف لمسكم أو أفضتم (تلقونه بألسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه (وتقولون بأفواهكم) أى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب (ماليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة له (وهو عند الله عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ماينبغى ومايصح لنا (أن نتكلم بهذا) يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب من ذلك الافك أو ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب

(قوله وانما عدل فيه من الخطاب الخ) لان الالتفات الى الغيبة اشعار بأنهم لا يستحقون الخطاب والعدول من ظننتم بأنفسكم خيرا الى ماذكر دليل على انه خلاف مقتضى الايمان (قوله من جملة المقول تقريرا الخ) فانه بجنب قالوا لان المعنى لولا قالوا هذا افك مبين لولا جاؤا الآية يعنى ينبغى للمؤمنين القول بأنه افك والقول بمجىء أربعة فاذا لم يجيؤا به فأولئك المفترون عند الله هم الكاذبون

عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيد القوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله أن تعودوا لمثله) كراهة أن تعودوا أو فى أن تعودوا (أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (أن تشيع) أن تنتشر (الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) مافى الضمائر (وأنتم لاتعلمون) فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على مافى القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وأن الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ماأفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (مازكى) ماطهر من دنسها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الالية أو ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول أنه قرئ ولايتأل وأنه نزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد حلف أن لاينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (أولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى المال وفيه دليل على فضل أبى بكر وشرفه رضى الله تعالى عنه (أن يؤتوا) على أن لايؤتوا أو فى أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد أى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ فى تعليل المقصود (وليعفوا) مافرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أبى (لعنوا فى الدنيا والآخرة) لما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتوبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله تعالى عنها (يوم تشهد عليهم) ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لايشاركه فى

ذلك

(قوله فاستعمل لكل متعجب الخ) أى استعمل فى كل متعجب من غير قصد تنزيه (قوله ويخل بمقصود الزواج الخ) وهو حصول الولد والنسل لان المرأة اذا كانت زانية لم يعلم كون الولد من الزوج (قوله المبهوت عليه) هو النبى والصديق وابنته وغيرهم (قوله ولايقرره عليها) لاحاجة الى ذلك بعد قوله ولايجوز الكشخنة بل تركه أولى (قوله الحد والسعير) لايقال من حد فى الدنيا فقد كفارة لذنبه ولم يدخل النار بسبب ذنبه الموجب للحد فكيف يستحق الحد والسعير معا لانا نقول مفهوم الآية ان السعير بسبب حب اشاعة الفاحشة والحد بسبب القول الفاحش (قوله أو لموصوفات) لانه اذا نهى عن التقصير فى اعطاء كل ما كان ذا قربى وكل ما اتصف بالمسكنة وكل من اتصف بالهجرة فالنهى عن التقصير فى اعطاء من كان جامعا للصفات المذكورة كان أولى وهذا هو المقصود (قوله لا للعذاب الخ) أى العذاب مصدر والمصدر الموصوف لايعمل (قوله للتقديم الخ) أى لتقديم الفعل على الفاعل المؤنث والفصل الجار والمجرور بينهما

ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه أو ذو الحق البين أى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (أولئك) يعنى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو الرسول وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم (مبرؤن مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين أى مبرؤن مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أى مبرؤن من أن يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى لا تسكنونها فان الآجر والمعير أيضا لا يدخلان الا باذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله أو يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس أو تتعرفوا هل ثم انسان من الانس (وتسلموا على أهلها) بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) أى الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم (فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو أزكى لكم) الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروأة أو أنفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والحوانيت والخانات والخانقات (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى ما يكون نحو محرم (ويحفظوا فروجهم) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك أزكى لهم) أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه اجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون

(قوله ذلكم خير لكم) يفهم منه ان الخبر فى قوله ذلكم خير لكم اما مجرد عن التفضيل واما أن يكون التفضيل تقديريا وأما ما قاله من قوله من أن تدخلوا بغتة أو من تحية أهل الجاهلية ففيه انه لا حسن فى واحد منهما فلا وجه لاعتبار التفضيل الا بما ذكرنا

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا (ولا يبدين زينتهن) كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر أن هذا فى الصلاة لا فى النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وهشام بضم الجيم (ولا يبدين زينتهن) كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره (او آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان أو لان الاحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) يعنى المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف (أو ما ملكت أيمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) أى أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو أبلغ من النهى عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفى الزخرف يا أيه الساحر وفى الرحمن أيه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال

(قوله لكنه يجب الندم عليه الخ) قال العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل (قوله ولما كان المستثنى منه الخ) أى لما كان المستثنى من الفروج كالشاذ النادر أطلق الفروج ولم يذكر المستثنى بخلاف الغض فان ما لم يغض البصر عنه كثير فلذا قيل يغضوا من أبصارهم

فان تنكحى أنكحوان تتأبى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

وتخصيص الصالحين لأن احصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح أو وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى وأن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) أسبابه ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا أدى المال أو لانه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند أكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لان المطلق لا يعم مع أن العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيأ من أموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى أقل ما يتمول وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وقيل أمر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنا كانت لعبد الله بن أبى ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان أردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثاران على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن أو له ان تاب والاول أوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالكسر فى هذا وفى الطلاق لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى ومثلا من أمثال من قبلكم أى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف

(قوله ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به) وهو المهر فان قيل هذا يدل على أن للنكاح أسبابا غير المهر فما هى قلنا يجوز أن يراد النفقة والكسوة وان يراد ما هو أعم مثل مسكن لائق بسكنى الزوجة (قوله وضعفه ظاهر لفظا ومعنى) اما لفظا فلان المناسب حينئذ أن يقال ان علمتم لهم خيرا واما معنى فلأن المكاتب لا مال له حين الكتابة عليه لان ما فى يده حينئذ مال صاحبه (قوله لجواز أن يكون ارتفاع النهى الخ) أى ارتفاع النهى عن الاكراه فى صورة ارادة التحصن لا لجواز الاكراه بل لانه لا معنى للنهى عن الاكراه فيها

(قوله أو الذي به يدرك) عطف على قوله أو يوجدها (قوله من حيث أنه يطلق على الباصرة الخ) لا حاجة الى هذا الكلام الطويل بل يكفي أن يقال والمراد الذي به يدرك السموات والارض أو يدرك أهلها فان النور وضع أولا للكيفية المعلومة التي بها يدرك الاشياء فيمكن أن يتجوز بها أو يراد ما يدرك به الشيء فيكون المعنى الله ما يدرك به السموات والارض (قوله وقصور الادراكات الخ) أي انحصار الادراك البشري على ماذكرناه فانه لا يدرك في غالب الامر الا ماذكر فالمراد من المتعلق بهما الكواكب والحركات وما حصل من العالم بسببهما ومن المدلول بهما ذات الله تعالى وصفاته وافعاله (قوله واضافته الى ضميره الخ) الاضافة المذكورة وان احتمل ان تكون بيانية حتى يكون اطلاقه على ظاهره لكنها قليلة بالنسبة الى غيرها (قوله وهي الكوة) هي

بفتح الكاف والضم لغة والقنديل بكسر القاف (قوله وقد قرئ به مقلوبا) أي قرئ بكسر القاف والراء وقلب الهمزة ياء (قوله وقرأ نافع وابن عامر الخ) في التيسير قرأ ابن كثير وأبو عمرو توقد بالتاء مفتوحة وفتح الواو والدال مشددة وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتاء مضمومة واسكان الواو وضم الدال مخففا والباقون كذلك الا انه بالياء واذا تحقق هذا علم تقصير المصنف في بيان القراءة في هذا الموضع اما أولا فلانه علم من قوله وقرئ توقد أنه قراءة شاذة لان عادته التعبير عن القراءة الشاذة بصيغة المبني للمفعول والمفهوم من التيسير أنه قراءة ابن كثير وأبي عمرو واما ثانيا فلانه لم يعلم من كلام المصنف ان قراءة القراء الباقين الذين لم يذكرهم بأي طريق

ومريم (وموعظة للمتقين) يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات والارض) النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار أو بالملائكة والانبياء أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور أو موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما ان أصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها أقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء أو بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا أنوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه أو لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكوة) كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة وقرأ الكسائي برواية الدوري بالامالة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) في قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر أو فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا أنه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الاصل وقراءة أبي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) أي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي

(قوله وأصل الظهور الوجود) ان أراد أن الظهور لا يكون بدون الوجود يعني يجب أن يكون الشيء موجودا أولا حتى يظهر ويعيه انه يلزم أن يكون الشيء معدوما حتى يكون خفيا وليس كذلك اذ كثير من الموجودات يكون خفيا وان أراد أن حقيقة الوجود والظهور واحد حتى يكون كل موجود ظاهرا وبالعكس كما ان كل خفي معدوم وبالعكس فذكر الاصل مستدرك بل حق العبارة أن يقال الظهور هو الوجود وان أريد معنى آخر فهو غير ظاهر والاولى أن يقال كل موجود فهو ظاهر في الجملة فكل خفي فهو معدوم ويمكن أن يقال الظهور في أصل اللغة بمعنى الوجود لكن المشهور أن الظهور وجود لا خفاء فيه وكذا الخفاء في الاصل هو العدم لكن المشهور ان الخفاء يعرض موجود

والكسائى وأبو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد من تتوقد و يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لاشرقية ولا غربية) تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أولا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه أجود الزيتون أولا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها أو فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيأ وفى الحديث لاخير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولاخير فيهما فى مضحى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) أى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبى مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التى منوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم مالم تعلم والقوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلم أو تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتى يكاد زيتها يضىء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنه ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها كانت نورا على نور

لان الهدى محفوف بظلمات أوهام الناس كان المشكاة والمصباح محفوف بالظلمات بخلاف الشمس فانها غير محفوفة بها (قوله أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن الخ) فيكون ههنا مضاف مقدر والمعنى مثل نوره كنور مشكاة (قوله وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس) الحساسة هى الحواس الخمس فلا يصح أن يقال تدرك المحسوسات بالحواس الخمس بل ينبغى أن يقال أعنى الحواس الخمس (قوله ووجهها الى الظاهر) أى الى قدامه لا الى خلفه فانها غير نافذة (قوله بالاشياء الخمسة المذكورة) يرد عليه انه اذا كان تشبيه مجموع الامور المذكورة بما منح الله على عباده بالامور الخمسة المذكورة كان حق العبارة أن يقال مثل نوره كمشكاة وزجاجة ومصباح الخ حتى يكون تشبيها مفردا شبه كل واحد مما فى أحد الطرفين بما يناسبه فى الطرف الآخر (قوله وضبطها للانوار العقلية) المراد من الانوار العقلية الصور المدركة لها الملابسة لها (قوله والعاقلة كالمصباح الخ) فعلى هذا يناسب ان تكون فى لمجرد الظرفية لان المصباح الذى هو العاقلة ليس فى الحساسة التى هى كالمشكاة وقس على ماذكرنا الوجه الآخر الذى سنذكره (قوله خبر لا الخ) أى تقييد الممثل بما يكون كالمكان له وانما قال كالخبر لان البيت ليس خبرا حقيقيا

(يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (و يضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا و بيانا (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها (فى بيوت) متعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت أو توقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة أن لا فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (أذن الله أن ترفع) بالبناء أو التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى أفعاله والمباحثة فى أحكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال) ينزهونه أى يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ تسبح بالتاء مكسور التأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى أوقات الغدو (رجال لاتلهيهم تجارة) لا تشغلهم معاملة رابحة (ولا بيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أريد به مطلق المعاوضة أو بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه أصلها ومبدؤها وقيل الجالب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلوة) عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا * (وايتاء الزكوة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ماهم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم و يؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون (أحسن ما عملوا) أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب أى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض الخالية عن النبات وغيره المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء أو موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه أو زبانيته أو وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا أو مجازاة (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب روى أنها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وأو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان أعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين

للمشكاة ولا للزجاجة (قوله أو تمثيلا لصلاة المؤمنين الخ) لا يخفى ان جعل المراد من البيوت الصلاة أو الابدان لا يظهر له وجه يعبأ به ولذا لم يوجد فى الكشاف ولا فى النيسابورى (قوله وقرئ بالتاء مكسورا الخ) المراد من قوله مكسورا مكسور الباء التحتانية وفى الكشاف وقرئ يسبح بالياء وكسر الباء وعن أبى جعفر بالياء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء بجعل الاوقات مسبحة

فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج أى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) أى أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها والجملة صفة أخرى للبحر (ظلمات) أى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها فى رواية البزى (اذا أخرج يده) وهى أقرب مايرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها كقول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فماله من نور) خلاف الموفق الذى له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى أو الاستدلال (أن الله يسبح له من فى السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر أو من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) أى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله (والله عليم بما يفعلون) أو علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى أسباب تعيشها لا تكاد تهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ومافيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) مرجع الجميع (ألم تر أن الله يزجى سحابا) يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فانه يزجيها كل أحد (ثم يؤلف بينه) بأن يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين أجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (وينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو جودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف أى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لابد أن يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها واليه أشار بقوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من

(قوله والضمائر للواقع) أى الضمائر فى أخرج وفى يده وفى لم يكد يراها (قوله دلالة حال) دلالة الحال هو أن غير ذوى العقول لا يعنى بها من يدعنايه (قوله تعالى والله عليم بما يفعلون) دليل على ان فاعل علم هو الله تعالى ولك أن تقول لو كان فاعله هو الله تعالى لزم التكرار (قوله على تشبيه حاله فى الدلالة الخ) ووجه الشبه ان من علم صلاته وتسبيحه دل على الحق بالمقال كما ان ماذكر دال على الحق أيضا لأن يقال انه تعميم بعد تخصيص

حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة ومايفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس بصلة لخلق (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على أربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف فى القدرة (يخلق الله مايشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء (لقد أنزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدى من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض فابى أن يحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطعنا) أى وأطعناهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بأن جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حكم الله تعالى (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لاتحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) أى الحكم لاعليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) كفر أو ميل الى الظلم (أم ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكومة (بل أولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط أمانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغي بعد انكاره لما لاينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن

(قوله توليد للضد من الضد الخ) أى توليد النار من المادة المائية التى هى البرد الخ (قوله ليوافق التفصيل) من لفظ من فى المواضع الثلاثة الاجمال المذكور فى هم الذى هو لتغليب العقلاء

(ويخش الله) على ماصدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء ساكنة فى الوقف بالاتفاق (فأولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن أمرتهم) بالخروج عن ديارهم وأموالهم (ليخرجن) جواب لاقسموا على الحكاية (قل لا تقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة أمثل منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) أى على محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقى ما حملتم فان أديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللامة أوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعداء وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لا يشركون بى شيأ) حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد أو كفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) فى سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين لله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو فى القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار فى الارض أحدا معجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أو لا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (يا أيها الذين

(قوله جواب لأقسموا على الحكاية) غرضه ان لنخرجن فى قولهم ما كان جواب القسم بل لخرجنا لان قولهم هو والله لئن أمرتنا لخرجنا فالمناسب أيضا أن يكون بل لخرجنا جواب القسم فى الكلام الذى حكى عنهم لكن ارادة حكاية الحال الماضية تصوره بصيغة الحال (قوله الموعود والموعود عليه) الموعود هو الاستخلاف والامن من بعد الخوف والموعود عليه هو الايمان وعمل الصالحات (قوله ما خاطبهم الله الخ) أى الظاهر أن يقال وأطيعونى وانما قيل أطيعوا الرسول حكاية لكلام الله تعالى وأما التبكيت فباعتبار ان ذكر رسول الله موجب للاطاعة (قوله ومن للبيان الخ) وانما كان للبيان لان المخاطبين هم المؤمنون فلا يصلح من أن يكون للتبعيض (قوله وتعليق الرحمة الخ) أى تعليق الرحمة بطاعة الرسول أو بالشئ الذى يندرج فيه طاعة الرسول وهو مجموع ما ذكر من اقامة الصلاة وغيرها (قوله ولا يحسبن الكفار أحدا الخ) لك أن تقول اذا كان المعنى انه لا يحسبن الكفار فى الارض أحدا معجز الله فما فائدة التعبير بلفظ الجمع مع أن التعبير به يوجب نفى جماعة المعجزين ولا ينفى مطلق المعجز ويمكن أن يقال المقصود ما ذكر لكن عبر بلفظ الجمع لان ظاهر حال الكفار وتفرقهم بفرق مختلفة واتخاذ كل

آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى أن غلام أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه أقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع خبر المحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) أي ثيابكم لليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو لوصفها بها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة مما أمر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وأن يستعففن خير لهن) من الوضع لانه أبعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن للرجال (عليم) بمقصودهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة أو كان في أول الاسلام ثم نسخ

فريق الهايد لعلى أن كل فريق يعتقد معجز الله (قوله أن لا يدخلوا علينا) قيل لا مزيد للتأكيد كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وقال العلامة الطيبي الوجه أن يقدر مضاف والمعنى لوددت ان الله عز وجل نهى هؤلاء عما هم عليه من الفعل القبيح ارادة ان لا يدخلوا علينا (قوله وجوابه ان المراد الخ) أي المراد من الاطفال المذكورة ههنا هم الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج العبد البالغ من الاطفال (قوله الا انه خص بتكشف المرأة الخ) على هذا يلزم أن يكون بزينة لا حاجة اليها والجواب ان مراده ان التبرج مطلق الاظهار ولكن لا يتعلق في الاستعمال الا بالزينة ولا يقال متبرج كناية

بنحو قوله لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ماقبله ولا مابعده (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام أنت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان أطيب مايأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه) وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أو بيوت صديقكم فانهم أرضى بالتبسط فى أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم أو كان ذلك فى أول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لاقطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه أو فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع فى القذارة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز أن تكون من صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لى متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) أى الحق والخير فى الامور (انما المؤمنون) أى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ فقال (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهام وفيه أيضا مبالغة وتضييق للامر (فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى فأذن لمن علمت أن له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لامر الدنيا على أمر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل

(قوله وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك) فان العلم والحكمة اللذين هما الفاصل للاثنين المتقدمين مقتضيان لذلك أى لتبيين الآيات وتعقل المؤمنين للآيات مقتضاه والمقصود منه أى من التبيين (قوله أبلغ الخ) الابلغية باعتبار تأكيده بان والحصر المستفاد من أولئك (قوله وتضييق للامر) التضييق باعتبار ذكر البعض (قوله ومن منع ذلك الخ) فيكون الاول بسبب العذر لا لرأى النبى صلى الله عليه وسلم

لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يانبي الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لاتجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلاتبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لاتجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدحل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له فى الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة واستدل به على أن الامر للوجوب فانه يدل على أن ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله مافى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير أو تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزاله الفرقان لمافيه من كثرة الخير أو لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لايتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كقوله تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات أو الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الاول أو مدح مرفوع أو منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال (وخلق كل شئ) أحدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما أراد منه من

(قوله أو لاتجعلوا دعاءه ربه) يقتضى كل دعائه مستجاب البتة لكن فى الترمذى والنسائى على ماذكره الطيبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنين ومنعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها (قوله وحذف المفعول الخ) المفعول المحذوف هو مفعول يخالفون وهو المؤمنين قال العلامة النيسابورى تقول خالفته عن القتال أى جبنت وأقدم هو وخالفته الى القتال أقدمت وجبن هو (قوله فان الامر بالحذر عنه الخ) أى الامر بالحذر عن أحد العذابين يدل على حسن الحذر المشروط بقيام المقتضى له أى قيام مقتضى الشئ الذى يحذر عنه فيدل على وجوده فان الحذر عما لم يتحقق وقوعه ولا وقوع مايقتضيه ليس بحسن والمراد بقيام المقتضى للشئ مايقتضى اليه فى الجملة وهو مخالفة الامر فيكون الامر مستلزما للوجوب وفيه ان حسن الحذر لم يشرط بقيام المقتضى ولا تحققه بل مشروط باعتقاد قيامه سواء كان جزما أو ظنا بل الاحتمال كاف ثم ان الواجب مايقتضى تركه عذاب الآخرة لا أحد العذابين ﴿سورة الفرقان﴾ (قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ) غرضه ان الصلة يجب أن تكون معلومة للمخاطبين لكن المعاندين المشركين الذين هم المقصودون بالخطاب الخصائص

الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شئ فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا (واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم و يصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون اماتة أحد واحياءه أولا و بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه (وأعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر و يسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود (وزورا) بنسبة ماهو برىء منه اليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته (وقالوا أساطير الاولين) ماسطره المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها وقرىء على البناء للمفعول لانه أمي وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل و بنى الفعل للضمير فاستتر فيه (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الاولين (انه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا (وقالوا مال هذا الرسول) مالهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (و يمشي في الاسواق) لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما أشار اليه تعالى بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) لنعلم صدقه بتصديق الملك (أو يلقى اليه كنز) فيستظهر به و يستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل أي ان لم يلق اليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار (وقال الظالمون) وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه و بين المتنبي فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح في نبوتك أو الى الرشد والهدى (تبارك الذي ان شاء جعل لك) في الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوا لكن أخره الى الآخرة لانه خير وأبقى (جنات تجري من تحتها الانهار) بدل من خيرا (و يجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

ههنا منكرون له فأجاب بان هذه الصلة وان لم تكن معلومة لهم لكنها في حكم المعلوم لقوة دليلها (قوله وقد يطلق الخلق لمجرد الخ) حق العبارة أن يقال فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهكذا قاله صاحب الكشاف والمعنى من غير نظر الى ما اعتبر في الخلق بمعنى التقدير (قوله خليل) من الخلة وهي الفقر و يقال مالي حرم اذا كان لا يعطى منه

(قوله وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو الخ) فشبه الشرط والجزاء بالتمنى فى عدم تحقق وقوعهما حال المشارطة فكما يجوز نصب الفعل بعد التمنى كذلك بعد الجزاء (قوله فانه أعجب منه الخ) لان أمر الساعة تقرر فى ألسنة الانبياء المتقدمة واشتهر بين الامم (قوله لاتتراءى ناراهما الخ) أى يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالمنزل الذى اذا أوقدت فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك واسناد الرؤية الى النار على سبيل (٩٠) المجاز والمقصود رؤية أهلها (قوله الى الكنز والجنة الخ) أى الكنز والجنة اللتين ذكرهما المشركون بقولهم أو يلقى اليه كنز (قوله يعنى كانت لهم جزاء) يعنى ان قوله تعالى كانت لهم جزاء بتقدم الظرف يدل على اختصاص الجنة بالمتقين لايدخل غيرهم فيها مع انه يدخل فيها عصاة المؤمنين فأجاب أولا بأن الجنة للمتقين ويتفضل بها على غيرهم باذنهم كما ان المالك يهب ملكه لغيره بأن يجعله شريكا فيه وثانيا بأنه يجوز ان يراد بالمتقين المؤمنون مطلقا والتقوى هى التقوى عن الكفر (قوله الى الانجاز) لك أن تقول فيه ان الانجاز واجب فهو ملجأ اليه لانه بعد الوعد وخلف الوعد على الله تعالى محال لانه نقص لايليق بكرمه الا أن يقال المراد بالالجاء الى الشئ أن لايحصل ذلك الشئ بالارادة بل بالقسر ومن هنا يتبين معنى قوله فان تعلق الارادة بالموعود مقدم الخ أى لما كان حصول الموعود بالارادة لم يحصل الالجاء لكن فى التقدم المذكور نظر اذ ارادة الموعود من الله تعالى مستلزم لحصول الموعود و بعد حصول الموعود لامعنى الموجب للوعد و يمكن أن يقال مراده من ارادة الموعود انه تعالى أراد فى الازل حصول الموعود فى زمان معين من الازمنة المستقبلة فتتعلق ارادته تعالى فى الماضى بوجود الموعود فى المستقبل فاذا حصل ذلك الزمان المعين حصل الموعود وهذه الارادة لاتنافى الوعد لانها قبل حصول الموعود ثم بعد تعلق الارادة حصل الوعد ثم بعد الوعد حصل الموعود بمقتضى تعلق الارادة الازلية وتحقيق هذا المقام وهو تعلق الارادة أولا بوجود شئ فى زمان من الازمنة المستقبلة مذكور فى شرحنا التهذيب الكلام فليطلب منه

و يجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك لفقرك أوفلذلك كذبوك لالما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أوفكيف يلتفتون الى هذا الجواب و يصدقونك بما وعد الله لك فى الآخرة أوفلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه أعجب منه (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لاتتراءى ناراهما أى لاتتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أوجهنم (من مكان بعيد) هو أقصى ما يمكن أن يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض (مقرنين) قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا أى يتمنون الهلاك و ينادونه فيقولون تعال ياثبوراه فهذا حينك (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) أى يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أولانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أولانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أوالى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح أوللدلالة على خلودها أوالتمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) فى علم الله أو اللوح أولان ماوعده الله تعالى فى تحققه كالواقع (جزاء) على أعمالهم بالوعد (ومصيرا) ينقلبون اليه ولايمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم (لهم فيها مايشاؤن) مايشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لاتحصل الا فى الجنة (خالدين) حال من أحد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسؤلا) الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل و يطلب أومسؤلا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك أوالملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد

الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء (وما يعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه تعالى واستعمال ما لما لان وضعه أعم ولذلك
يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف أو لانه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم أو لتغليب الاصنام
تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب
أو الاصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل (فيقول) أي
للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا
السبيل) لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت
للعبدة وأصله أأضللتم أم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل
دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة الضل مبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شئ أو اشعارا بانهم الموسومون
بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أو تنزيها لله تعالى عن الانداد (ما كان
ينبغي لنا) ما يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) للعصمة أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا أن
ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان
كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من أولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة
لتأكيد النفي (ولكن متعتهم وآباءهم) بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات (حتى نسوا الذكر)
حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه
بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
(وكانوا) في قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو
جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى
فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) في قولكم انهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع
المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا
(فما يستطيعون) أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب
عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم)
أيها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هي النار والشرط وان عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (وما أرسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) أي الا رسلا انهم فحذف الموصوف
لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ويجوز أن تكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشون أي تمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء
ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم
وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر
(أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم
أيكم أحسن عملا أو حث على الصبر على ما افتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر أو بالصواب
فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث أو لا يخافون
لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به

(قوله لانه لاشبهة فيه) أي في
الاضلال والضلال اذ لو شك
في وجودهما لما حسن
العتاب المستفاد من قوله
تعالى أأنتم أضللتم (قوله
وقرئ لا نتخذ) بصيغة
المتكلم المجهول (قوله ومفعوله
الثاني من أولياء) فان من
أولياء مفعول أن نتخذ
واذا قرئ بصيغة المتكلم
المجهول كان لمفعول هو
ضمير المتكلم

(قوله واللام جواب قسم الخ) لانه جملة قسمية دلت على شدة استكبارهم بحيث تقتضي التعجب (قوله وجارة) الجارة اسم امرأة هي بسوس صاحبة ناقة جساس وجساس اسم رجل هو قاتل كليب والناب ناقته يقال نابنا أي ناقتنا وهذا البيت يدل على قصة وهي ان كليبا رمى الناقة المذكورة فقتلها فشكت الجارة الى جساس فقتل جساس كليبا ومعنى علت ناب الخ انه علا قدر

ناب الناقة التي كليب بواؤها أي كليب قصاصها والاستشهاد في علت ناب كليب بواؤها فانه يقتضي التعجب (قوله أو ظرف) معطوف على قوله تكرير أي يوم تكريرا أو خبر أو ظرف (قوله ولا يلزم من نفي البشرى الخ) لانه اذا كان لابشرى يومئذ للمجرمين مطلقا فلا بشرى للكافرين بطريق الاولى (قوله غير انه لما اختص بموضع مخصوص) وهو موضع لقاء العدو وهجوم المكروه الخ غير حجر لما ذكر ولا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه للاشعار بتغييره عن حالته الاصلية والمراد من عدم التصرف انه لا يستعمل الا منصوبا على المصدر (قوله مكان القيلولة على التشبيه) أي المقيل في الاصل محل القيلولة فاستعماله ههنا على التشبيه أو لان المكان الذي يؤوى اليه للقيلولة لا يخلو عن النوم غالبا وانما التزم ذلك لانه لا نوم في الجنة حتى يمكن أن يستعمل المقيل ههنا بمعناه الحقيقي

الوصول الى جزائه و يمكن أن يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلا الينا (أو نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا في انفسهم) أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الانبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتهم وما هو أعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس أبأنا بنابها ❊ كليبا علت ناب كليب بواؤها

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت أو العذاب و يوم نصب باذكر أو بما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ تكرير أو خبر وللمجرمين تبيين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (و يقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول أي و يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى في شعاع يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه في أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاستروح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أو لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز الى ما يتميز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين و يحتمل ان يراد بأحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا أو بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (و يوم تشقق السماء) أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع

والمراد من قوله على التشبيه تشبيه مكان الاستروح بمكان القيلولة والمراد من قوله أو لانه لا يخلو من ذلك غالبا انه لا يخلو مكان القيلولة عن الاستروح فكانت القيلولة مستلزمة له غالبا فأطلق القيلولة واريد به الاستروح بطريق المجاز المرسل ثم أطلق المقيل وأريد به مكان الاستروح

ونافع وابن عامر و يعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين و يومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر أو صفته والخبر يومئذ أو للرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (و يوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو فى بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك الا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن أبيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات (يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة (ياويلتى) وقرئ بالياء على الاصل (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) يعني من أضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد أضلني عن الذكر) عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة (بعد اذ جاءني) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعني الخليل المضل أو ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن وانس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ أو فى الدنيا بثا الى الله تعالى (يارب ان قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني و بينه أو هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الاولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما أشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أي كذلك أنزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة السلام أميا وكانوا يكتبون فلو ألقى عليه جملة لعيل بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ

(قوله نزل الملائكة) بضم اللام وكان أصله تنزل الملائكة بنصب الملائكة حذف النون وضم النون الباقية (قوله صفة) أى فالحق صفة الملك والخبر ما ذكر (قوله لم يستتب) أى لم يتهيا والتلقف أى الاخذ من الغير لا يتيسر الا تدريجا

ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة أو ثلاث وعشرين وأصل الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك (الا جئناك بالحق) الدامغ له فى جوابه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا وما هو أحسن كشفا لما بعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى مقلوبين أو مسحوبين عليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره (أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازرون عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعنى فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة (وأصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أى دسوه فى بئر (وقرونا) وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب

والفضة

(قوله ومنها انضمام القرائن الحالية) أى كل من الحالات الواقعة فى زمان من الازمان يناسب نزول آية خاصة فتعين على البلاغة لانها مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر (قوله وأحسن تفسيرا الخ) فتكون الاحسنية على الفرض أى على تقدير أن يكون ما قاله الكفرة حسنا فبياننا أحسن منه (قوله فالتعقيب باعتبار الحكم المذكور الخ) أى الفاء تدل على أن التدمير وقع عقيب التكذيب المذكور من غير مهملة والحال ان بينهما أزمانا طويلة فكيف تستقيم الفاء فأجاب عنه بان الحكم بالتدمير فى الزمان المعين وقع بعد التكذيب بلا مهلة وان كان وقوعه بعده بزمان (قوله يحتمل التعميم والتخصيص الخ) أى يحتمل أن يكون المراد من الظالمين مطلقهم أو قوم نوح (قوله وقرئ الخ) عادته انه يؤدى القراءة الشاذة الغير السبعة بصيغة المجهول لكن هذه القراءة قراءة عاصم وحمزة

والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ (ولقد أتوا) يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشأم (على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) فى مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أولا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ما يتخذونك الا موضع هزء أو مهزوا به (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذى زعم أنه بعثه الله رسولا (ان) انه (كاد ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وان أمهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار (أم تحسب) بل أتحسب (أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) فتجدى لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة (ان هم الا كالانعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالاتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) أى أزلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح

(قوله لانه فارغ) أى غير مشتغل بضميره فيصح أن يعمل فيه بخلاف الاول فانه مشتغل به (قوله فانه يفيد نفى ما يلزمه الخ) فان ما يلزم من قولهم هو ضلال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المضل لابد أن يكون ضالا (قوله اشعارا بأن المعقول الخ) فان صنع الرب مد الظل أمر معقول جعل كالمحسوس لادخاله تحت الرؤية والظل أمر محسوس وقد وقع التعبير عن رؤية الظل ممدودا برؤية الرب مادا للظل فجعل المعقول من الكلام وهو رؤية الظل ممدودا لانه علامة الرؤية واذا كان هذا الامر المعقول جعل كالمحسوس لما ذكرنا فالامر المحسوس المفهوم من هذا الكل أولى بالظهور فى الدلالة على ما ذكر ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الاغلاق والاولى أن يقال التعبير المذكور للاشعار بأن المقصود العلم بالرب علما يشبه الرؤية فان فى ألم تر الى الظل الرؤية متعلقة بالظل وفى ألم تر الى ربك الرؤية متعلقة بالرب (قوله فانه لا يظهر للحس الخ) أى لا يظهر وجود الظل عند الحس الا بطلوع الشمس فان الظل كيفية ممانعة للشعاع لكنه قبله لم يظهر قبل طلوع الشمس وجود كيفية منافية لوجود الشعاع فاذا طلعت وزال الظل عن موضع الشعاع ظهر ان الظل كان موجودا والاولى أن يقال

السكون و يتحصل به مالا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما في السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا أى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها و يتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى أن تنتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به و بفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به و يوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء أحدكم اذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يعنى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى بحذف ياء وهو جمع أنسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية أو فى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا و يعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك و يقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك

اجلالا

المراد انه لا يظهر الظل غاية الظهور الا عند طلوع الشمس على بعض الاجرام فاذا أحس الشعاع والظل ظهر ظهورا تاما كما قيل وبضدها تتميز الاشياء (قوله أو دليل الطريق من يهديه الخ) أى دليلا لطريق من يهديه الظل الى مقصوده لان الظل تابع للشمس فلو لم تكن الشمس لم يكن الظل فكان الظل دليلا (قوله ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة) المراد بالجرى على الفعل أى الفعل المضارع موافقته فى الحركات والسكنات وميت ليس كذلك كابنية المبالغة كفعول ومفعال (قوله ولذلك نكر الانعام والاناسى) أى لما كان أهل البوادى قليلين بالنسبة الى أهل المدن والقرى نكر الانعام والاناسى لتدل على القلة ووصفهم بالكثرة فى حد ذاتهم لا ينافى القلة بالنسبة (قوله فيهم وبما حولهم الخ) الظاهر ان يقال ولهم ولما حولهم الخ (قوله وعلية معايشهم منوطة بها) علية جمع على كصبى وصبية والمقصود ان معايشهم منوطة بها

اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعله أصله مالح خفف كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة أو النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الاصنام أو كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من أجر الا من شاء) الا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب أجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو كفروا (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج والرحمن خبر للذى ان

(قوله وتفضيلا لك على سائر الرسل) هذا غير ظاهر اذ لا يلزم من تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالرسالة فى زمانه تفضيله على سائر الرسل الا اذا أثبتنا مع كل رسول نبيا آخر

جعلته مبتدأ أو لمحذوف ان جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي (فاسئل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده أو لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن أراد أن يذكر) بأن يتذكر آلاء الله و يتفكر في صنعه فيعلم ان لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (أو أراد شكورا) أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر أو سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية و لابتداء من الله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء وكسر التاء من أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان

(قوله وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده) جواز كون ما بعده وهو فاسئل به خبيرا خبرا لانه أي الرحمن مقيد بموصول وصلة لانه في التقدير الرحمن أي الذي أنكروا اطلاقه على الله فاسئل به خبيرا فصار التركيب مثل الرجل الذي يأتيني فله درهم (وقمرا أي ذا قمر الخ) فيكون المعنى وجعل فيها ذا الليالي القمر وذو الليالي القمر هو القمر (قوله أو تعليل الثاني) فيكون المعنى ان عذابها كان لازما لانه مستقر ومقام للداخلين فيه على الابد والاولى الاقتصار على الترادف اذ لزوم العذاب علة لسوء المستقر وقبح المقام اذ القول بان الجملة الثانية للتعليل لا عكسه

بين ذلك قواما) وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم أمهات المعاصي بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بأن الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة بأضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) جزاء اثم أو اثما باضمار الجزاء وقرئ أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام أي صعب (يضاعف له العذاب يوم القيمة) بدل من يلق لانه في معناه كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهو تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) ما يجب أن يلقى ويطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ أو القراءة (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر وذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا في أمر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أو لانه مصدر في أصله أو لان المراد واجعل كل واحد منا أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه

(قوله لاستقامة الطرفين الخ) أي اعتدالهما فكان الطرفين اعتدلا في الوسط

(قوله وبين ذلك لغوا الخ) لعله أراد انه ظرف لغو متعلق بقوله تعالى قواما كما يقال متوسط بين الامرين

(قوله وقيل انها للمعاصي المدلول الخ) الاولى ان يقال للمعاصي المدلول عليها بقوله اذا ذكروا لان التذكير مشتمل على النهي عن المعاصي

قاصدين لهم مقتدين بهم (أولئك يجزون الغرفة) أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هي من أسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يلقون من لقي (خالدين فيها) لايموتون فيها ولايخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا (قل مايعبؤ بكم ربي) مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أولا يعتد بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والافهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ومان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل أي عبء يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة أو أثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه ممالا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لاريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الاقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن على ماقرر في أول البقرة (لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لايؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاسرة عليه (فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فاصدق لانه لوقيل أنزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة أو طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) أي بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله (فسيأتيهم) أي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (أنباء ما كانوا به يستهزؤن) من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة

(قوله دعاء بالتعمير الخ) ولعل فائدة الدعاء بالتعمير أنه قدر في علم الله ان بقاء أهل الجنة في الجنة بسبب دعاء الملائكة اذ مقصودهم من الدعاء اظهار حبهم لحياة المؤمنين و بقائهم في الجنة

﴿سورة الشعراء﴾

(قوله بالامالة الخ) امالة ألف الطاء (قوله كراهة العود الى الياء الخ) وانما كان الياء مهروبا عنها لان الفات أسماء التهجي ياآت كما ذكره المصنف في أول سورة مريم فهرب عن الياء الى الالف فلو أميلت الالف يحصل العود الى الياء المهروب عنه (قوله البخاع) بالباء الموحدة (قوله ولعل للاشفاق الخ) دل على الامر بالاشفاق قضية الانكار أي انك تفعل ذلك فلا تفعل (قوله فظلت عطف الخ) يعني وظلت معطوف على المضارع الذي لو استعمل بدله الماضي لكان صحيحا كما ان أكن معطوف على أصدق على انه لوقيل أصدق مجزوما لكان صحيحا

وهو صفة لكل مايحمد و يرضى وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على انه مامن نبت الاوله فائدة اماوحده أومع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان فى ذالك) ان فى انبات تلك الاوصاف أوفى كل واحد (لآية) على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) فى علم الله وقضائه فلذلك لاينفعهم أمثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم أوالعزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذنادى ربك موسى) مقدر باذكر أوظرف لما بعده (أن ائت) أى ائت أو بان ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم (قوم فرعون) بدل من الاول أوعطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان أولى بذلك (ألايتقون) استئناف أتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرالهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة و يحتمل أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا (قال رب انى أخاف أن يكذبون و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون) رتب استدعاء ضم أخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه و ينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لاتختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب و يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ماخاف منه (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب فحذف المضاف أوسمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار فى أمر الدعوة وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت والذى طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجرى بينكما و بينه فأظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد أوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان أوالخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) أفرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أولاتحادهما للاخوة أولوحدة المرسل والمرسل به أولانه أراد أن كل واحد منا (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم ليذهبوا معنا الى الشأم (قال) أى فرعون لموسى بعد ماأتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) طفلا سمى به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين)

(قوله وكل لاحاطة الخ) فلولم يذكر لم يدل على الكثرة اذ يحتمل ان يكون المثبت زوجين اثنين ولولم يذكر لم يدل على الاحاطة اذ قد يكون بعض من الامور الكثيرة كثيرا أيضا (قوله لقد كذب الواشون) فى الاستدلال نظر فانه يجوز أن يكون الرسول ههنا بمعنى المشتق (قوله أى أرسل الخ) فالتقدير انا رسول رب العالمين اليك يقول هو أرسل

قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي و بخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وأنت من الكافرين) بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين و يجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم (قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه أو من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله أو من الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) حكمة (وجعلني من المرسلين) رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على انه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون ومارب العالمين) لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض وما بينهما) عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه أشار بقوله (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم أن هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لابد وأن يكون مبدئا لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه و بما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أو يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) عدولا الى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله و يشك في افتقاره الى مصور حكيم و يكون أقرب الى الناظر وأوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) أسأله عن شئ ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم (قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من ملك قطرا أو تولى

(قوله الافراد) هي البسائط اذ هي افراد لازوجية ولا تعدد في ذواتها (قوله ان كنتم تعقلون الخ) فان قوله ان كنتم تعقلون يفيد المخاشنة والتعريض بعدم العقل كما ان قول فرعون بنسبته الجنون الى موسى مخاشنة (قوله وان تعجبه الخ) عطف على ادعائه يعني لما كان دعواه انه اله كان هذا قرينة لان يكون قوله ألا تستمعون تعجبا من اتخاذ اله آخر

أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) فى أن لك بينة أوفى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) روى أن فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائى وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما اليناسريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على مايقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى بعد ما قالوا له اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) اقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى أنفسهم أو لاتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وأن التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال أو حال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على أن الموجب لايمانهم ما أجراه على أيديهما (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم أو فواعدكم على ذلك وتواطأتم وعليه أراد به التلبيس

(قوله لعلمهم بان مثله الخ) لانهم فى أعلى مراتب السحر فلما غلبوا دل على ان منتهى علمهم ليس الا الاول الذى هو التمويه اذ لو كان له مرتبة أخرى غير الاول لعلموا

على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وقوله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم أجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا في ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى أو بسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون أو من أهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير أو تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة المدل بامره نحو ان أحسنت اليك فلا تنس حقي (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) وذلك بعد سنين أقامها بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع أن اسر بعبادي بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ أن سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء أي أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم (فارسل فرعون) حين أخبر بسراهم (في المدائن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذ روى أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور أشار أولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه أو اعتذر بذلك الى أهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو أيضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة أي أقوياء قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه ✽ وأبغضه من بغضها وهو حادر

أو تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في أجسامهم (فاخرجناهم) بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجنا فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام أو الامر كذلك فيكون خبر المحذوف (وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم) وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم بالخلاص منهم (ان معي ربي) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون فقال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) بحر القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب (وأزلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه

(قوله أو على طريقة المدل الخ) ولعل النكتة بهذا المبالغة باعتبار الايماء الى ان الشك في الاحسان سبب لعدم نسيان الحق (قوله مثل ذلك الاخراج الخ) لا يخفى ان اعتبار المثلية والنسبية لا وجه له ههنا لان المقام واحد وكذا الاخراج والحق ان يقال لا مثلية ولا نسبة بل المعنى أخرجناهم ذلك الاخراج المخصوص وقد نقلنا مثل هذا في تفسير سورة الانعام عن العلامة التفتازاني (قوله لمدركون) بتشديد الدال وكسر الراء

أجعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وما كان أكثرهم مؤمنين) وما تنبه عليها أكثرهم اذ لم يؤمن بها أحد ممن بقى فى مصر من القبط و بنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه (واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذ تدعون) عليه وقرئ يسمعونكم أى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (أو ينفعونكم) على عبادتكم لها (أو يضرون) من أعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجؤا الى التقليد (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا (فانهم عدو لى) يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغرى بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه أنفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر أو بمعنى النسب (الا رب العالمين) استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه تعالى لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة الله العزيز العليم (والذى يميتنى ثم يحيين) فى الآخرة (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفار الماعصى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله هى أختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا (رب هب لى حكما) كمالا فى العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق (وألحقنى

(قوله تعالى قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون الخ) أى أخبرونى عن حال ما كنتم تعبدون أو أخبرونى ما كنتم تعبدون حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام والفاء فاء السببية تفيد ان ما بعد الفاء وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهذه الفاء بمعنى اللام والمعنى أخبرونى عن حالها لانها عدو لى وقد صرح الرضى بأنه قد يجىء الفاء بمعنى اللام فى مثل قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم (قوله فيكون اختلاف النظم) اختلاف النظم عبارة عن ايراد خلق بصيغة الماضى ويهدين بصيغة المضارع

بالصالحين) ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لايشوب صلاحهم كبيرذنب ولاصغيره (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) جاهاوحسن صيت في الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك مامن أمة الاوهم محبون له مثنون عليه أوصادقا من ذريتي يجدد أصل ديني و يدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقدمر معنى الوراثة فيها (واغفرلابي) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولاتخزني) بمعاتبتي على مافرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أومن الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون أوللضالين (يوم لاينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم) أي لاينفعان أحدا الامخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته أولاينفعان الامال من هذا شأنه و بنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لاينفع غنى الاغنياء وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها (و برزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة و يتحسرون على أنهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله) أين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها (وجنود ابليس) متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه (أجمعون) تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده أو للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة و يؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) أي في استحقاق العبادة و يجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهما كهم في الضلالة متحسرون عليها (وما أضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (ولاصديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولاصديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أو وقعنا في مهلكة لايخلصنا منها شافع ولاصديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق أولان الصديق الواحد يسعى أكثر ممايسعى الشفعاء أولاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل (فلوأن لنا كرة) تمن للرجعة أقيم فيه لومقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمني أو عطف على كرة أي لوأن لنا أن نكر فنكون من المؤمنين (ان في ذلك) أي فيماذكر من قصة ابراهيم (لآية) لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن

(قوله الاستثناء مما دل الخ) فيكون المال والبنون عبارة عن الغنى لانهما سببان له (قوله وفي اختلاف الفعلين الخ) فان الازلاف هو التقريب وهو أقوى من التبريز (قوله وكذا الضمير) أي الضمير المنفصل في قوله وهم فيها للاصنام والغاوين وجنود ابليس وعلى هذا فلابد مما قال من ان الله تعالى أنطق الاصنام حتى يتصور الاختصام وأما اذا كان الضمائر للعبدة فلا حاجة الى انطاق الاصنام والخطاب في نسويكم ليس على الحقيقة بل للتحسر والندامة وعلى هذا فالاختصام بين العبدة باعتبار ان الرؤساء والخدم يختصمون فقال التابعون أنتم أضللتمونا وقال الرؤساء بل ضللتم بأنفسكم (قوله أولاطلاق الصديق على الجمع الخ) فيكون الواحد من الصديق كالجمع من الشفيع

دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان أكثرهم) أكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكى يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقدم الكلام فى تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم أخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول أمين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه (وما أسئلكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء فى أجرى فى الكلمات الخمس (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه وأشاروا بذلك الى أن اتباعهم ليس عن نظر و بصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمى بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربى) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان أنا الا نذير مبين) كالعلة له أى ما أنا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا أعزاء أو أذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على أن أطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أو المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهار الما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بينى و بينهم فتحا) فاحكم بينى و بينهم من الفتاحة (ونجنى ومن معى من المؤمنين) من قصدهم أو شؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) أنثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم أبيهم (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه و يبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسيف أو سوط (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء

(قوله اظهارا لما يدعو عليهم الخ) أى سبب الدعاء عليهم التكذيب لا تخويف القوم نوحا ولا شقاقهم اياه

(وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) ثم أوعدهم فقال (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما تقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق الاولين بضمتين أى ما هذا الذى جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير للنعمة فى تخلية الله اياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل أنثى وطلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ من فارهين (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا (الذين يفسدون فى الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما أنت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون (ما أنت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال هذه ناقة) أى بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك أخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وأن قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

(قوله وتغيير شق النفى الخ) يعنى مقتضى المقابلة ان يقال أوعظت أو لم تعظ لكنه غير الى ما ذكر للمبالغة فان المعنى حينئذ أم لم تكن من جنس الواعظين (قوله أو بذكر الخ) فيكون الاستفهام للتقرير (قوله عظم اليوم لعظم ما كان فيه الخ) للدلالة على ان فى اليوم من العظمة والقسوة ما يوجب عظمة غيره (قوله نادمين الخ) أى الندم على الفعل المذكور لخوف العذاب لا للتوبة والندم على مخالفة أمر الله (قوله فى نفى الايمان عن أكثرهم الخ) الاول مسلم وفى الثانى خفاء ويمكن أن يقال ان معنى وما كان أكثرهم مؤمنين ان أكثرهم كافرون ففيه ايماء الى أنه لو لم يكن أكثرهم كافرين بل كان أكثرهم مؤمنين أو كان المؤمنون نصفا منهم لما عذبوا

أتأتون الذكران من العالمين) أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس (وتذرون ما خلق لكم) لاجل استمتاعكم (ربكم من أزواجكم) لبيان ان أريد به جنس الاناث أو للتبعيض ان أريد به لعضو المباح منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضا (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذاك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عما تدعيه أو عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو أبلغ من أن يقول انى لعملكم قال لدلالته على أنه معدود فى زمرتهم مشهور بأنه من جلتهم (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من شؤمه وعذابه (فنجيناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ أصابها حجر فى الطريق فأهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كائنة فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) وقيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان أجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وابقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدتهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والافعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى أعلم بما تعملون) و بعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك) تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عزوجل والقلب ان أراد به الروح فذاك وان أراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام فانه أمين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين (لتكون من المنذرين) عما يؤدي الى عذاب من فعل أو ترك (بلسان عربي مبين) واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام (وانه لفي زبر الاولين) وان ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة (أولم يكن لهم آية) على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه علماء بني اسرائيل) ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة في اعجازه أو بلغة العجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) أدخلناه (في قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) في الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين أو قبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة (وما ينبغي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير

(قوله فنهلك غير الظالمين الخ) يدل على انه تعالى لو أهلك غير الظالمين لكان ظالما وهو خلاف ما صرح به أهل السنة انه يجوز له تعالى ان يعذب العالمين بغير ذنب وصرحوا بانه مالك الملك ان تصرف في ملكه كيف شاء لا يكون ظلما فان قيل المراد من الظلم وضع الشيء في غير موضعه وعذاب غير الظالم كذلك قلنا فعلى هذا يمتنع عذابهم لاستلزامه الظلم المستحيل على الله تعالى اذ هو نقص والنقص عليه تعالى محال فالاولى أن يقال والله أعلم ان المعنى وما كنا ظالمين باهلاك القرية مطلقا سواء كان بعد الانذار أو قبله وان جرت عادتنا بعدم الاهلاك الا بعد الانذار رحمة وعناية أو يقال المراد ما كنا مشبهين بالظالمين فان الاهلاك قبل الانذار شبيه بالظلم وقد فسره به بعضهم فتأمل

لكم بين يدي عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برىء مما تعملون) مما تعملونه أو من أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المجتهدين كما روى أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) أى الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله تعالى كل أفاك أثيم والاظهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل أن رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعرا وقرره بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) لان أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون مالا يفعلون) وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين

(قوله فى النسيب بالحرم الخ) فى الصحاح نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا شبب بها ومغازلة النساء محادثتهن والاسم الغزل وحرمة الرجل أهله والحرم النساء والابتهار دعوى الشئ كذبا

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون أى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم و بعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة النمل﴾ مكية وهى ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الجر باعتبار الوجود أو القرآن وابانته لما أودع فيه من الحكم والاحكام أو لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى و بشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تمة الصلة والواو للحال أو العطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الاوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) زينا لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة التى وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم) أى حكيم وأى عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) أى اذكر قصته اذ قال و يجوز أن يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضميران صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان أبطأ (أو آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه قد يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون و يعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على أنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر أو ثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار

﴿سورة النمل﴾
(قوله والسين للدلالة الخ) هذا خلاف ما قاله بعضهم ان السين للاستقبال القريب وسوف للاستقبال البعيد

العظيمة (فلما جاءها نودى أن بورك) أى بورك فان النداء فيه معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى أحكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر أنه عام فى كل من فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته فى أقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره يريد أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى أنا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لاتخف) أى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لايخاف لدى المرسلون) أى حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس أى من الله تعالى أو لايكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف أيضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة (وأدخل يدك فى جيبك) لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (فى تسع آيات) فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن أن تهدى أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما أى علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة

(قوله تعالى كأنها جان) أى هى شبيه بالجنة الصغيرة فى سرعة المشى وان كانت عظيمة فى الجثة

كأنه قال ففعلا شكر الله ما فعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما أومثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة أوالعلم أوالملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أومركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أوالتبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما الصلاة والسلام أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما أوتى كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لايخفى على أحد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى امالان اتيانهم كان من عال أولان المراد قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادى (قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لايمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق (لايحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لاأرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لاجواب له فان النون لاتدخله فى السعة (وهم لايشعرون) بأنهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لايشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى أى أكفه وأرتبطه لاينفلت عنى بحيث لاأنفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء أوزعنى (التى أنعمت على وعلى والدى) ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أوتعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) اتماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى عدادهم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولايراه لساتر أوغيره فقال مالى لاأراه ثم احتاط فلاح له

(قوله تكثيرا للنعمة الخ) فالتكثير باعتبار ان النعمة عليه غير النعمة عليهما بحسب الظاهر وكذا العكس والتعميم باعتبار المآل وهو ان النعمة عليه هى النعمة عليهما وكذا العكس

أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في قفص (أو لأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الأولى مفتوحة مشددة (فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال أحطت بما لم تحط به) يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة (بنبأ يقين) بخبر متحقق روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ما شاء ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (إني وجدت امرأة تملكهم) يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ أو لأهلها (وأوتيت من كل شيء) يحتاج إليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم (فصدهم عن السبيل) عن سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) إليه (ألا يسجدوا لله) فصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطقي وأصيبي

وعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون أمرا بالسجود وعلى الأول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وصفه له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون (قال سننظر) سنعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم إلى

الحقيقة الخ) لان الاصل الغالب ان يحلف الحالف على فعل نفسه دون فعل غيره ويفهم من كلامه انه يجوز أن يحلف على فعل غيره وهو كذلك فقد صرح به الفقهاء فقالوا لو قال أحد لآخر أقسمت عليك بالله لتفعلن كذا وقصد به يمين نفسه كان يمينا ويستحب ابرار القسم ان لم يتضمن محرما أو مكروها (قوله كأنهم كانوا الخ) انما قال كأنهم كانوا يعبدونها بلفظ كأن المفيد لعدم الجزم لانه يحتمل أن يكون السجود لها لا للعبادة التي هي غاية التعظيم والخضوع بل لشيء منهما (قوله فبين العظمتين الخ) أي بين العظيم الذي هو عرش بلقيس وبين العظيم الثاني الذي هو عرش الله تعالى بون عظيم وفي هذا الكلام لطائف الاول ايراد لفظ بين وبون والثاني لفظ العظيم صفة لبون بين العظيمين الثالث ان البون العظيم يمكن ان يراد به البون بحسب المكان ويمكن ان يراد به البون بحسب الشرف الرابع كون الكلام ههنا شعرا (قوله والتفسير للمبالغة الخ) أفاد انه للمبالغة باعتبار ان كنت من الكاذبين من المستمرين على الكذب لانه لا يدل على زمان مخصوص بل كان للاستمرار

مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) أى بعد ما ألقى اليها (يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان (وانه) أى وان المكتوب أو المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أن مفسرة أو مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف أى هو أو المقصود أن لا تعلوا أو بدل من كتاب (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أجيبونى فى أمرى الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه (ما كنت قاطعة أمرا) ما أبت أمرا (حتى تشهدون) الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن أولو قوة) بالاجساد والعدد (وأولو بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة أو الصلح نطعك ونتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وغلبة (أفسدوها) تزييف لما أحست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى عاقبتها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روى أنها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وأرسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) أى الرسول أو ما أهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدوننى بمال) خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتانى الله) من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون باسكانها وبامالتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه

افتخارا

(قوله وقرئ بالفتح الخ) أى قرئ انه من سليمان وانه بفتح ان فى الموضعين (قوله ان مفسرة) أى مفسرة لشئ مقدر والتقدير أنها كم عن شئ وأعلمكم شيأ هو لا تعلوا على (قوله فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة) أى القاء الكتاب اليها من غير توسط بأحد من الناس بل باتيانه اليها من حيث لم تشعر به معجزة والاولى أن يقال ان أمر سليمان عليه السلام كان مشهورا فاستدعاؤها الى الانقياد لا يكون استدعاء للتقليد

افتخارا على أمثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) أيها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) أسراء مهانون (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوّة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره (قبل أن يأتونى مسلمين) فانها اذا أتت مسلمة لم يحل أخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله به أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا ✻ لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شئ فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام فى امكان مثله قدمر فى آية الاسراء (ليبلونى أأشكر) بان أراه فضلا من الله تعالى بلا حول منى ولا قوّة وأقوم بحقه (أم أكفر) بان أجد نفسى فى البين أو أقصر فى أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته أو الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليها الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوّزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى

(قوله والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الخ) انكار الامداد بالمال هو المستفاد من قوله أتمدوننى بمال وتقليله هو المستفاد من قوله فما آتانى الله خير مما آتاكم (قوله تعالى أم تكون من الذين الآية) لا يخفى ان الاصل ان يقال أتهتدى أم لا تهتدى فالعدول اليه اما للمبالغة اذا لم تهتد الى معرفة عرشها مع انه بعينه فى ذاته فكأنها لم تهتد الى شئ أو لحفظ الفواصل

وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء به من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكر الله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول أى صدها نشوؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روى أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق وأسؤق (قال انه) ان ماظننته ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما أمر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) بان اعبدوا الله وقرئ بضم النون على اتباعها الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ (لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم ترحمون) بقبولها فانها لاتقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه و بين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد (لنبيتنه وأهله) لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر (ثم لنقولن) فيه القراآت الثلاث (لوليه) لولى دمه (ما شهدنا مهلك أهله) فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا (وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون أو والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم (وهم لا يشعرون) بذلك روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون و يعقوب أنا دمرناهم

(قوله ويكون غرضهم فيه الخ) هذا دفع سؤال وهو انه من المعلوم ان سليمان كان عالما بما يجب العلم به قبل بلقيس وكان اسلامه قبل اسلامها فما فائدة قوله وأوتينا الخ وجوابه ان الغرض منه التواضع واظهار نعمة الله وشرف العلم والاسلام (قوله اذ الشاهد لشئ الخ) الغرض من ذلك عدم كذبهم فى حلفهم بأحد الوجهين المذكورين

بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول وظرف على الثانى (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتى خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أفعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أو لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير أما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (أمن) بل أمن (خلق السموات والارض) التى هى أصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله (وأنزل لكم) لاجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسى) جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح أو خليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا وقدم بيانه فى الفرقان (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) المضطر الذى أحوجه شدة ما به الى اللجا الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن

(قوله أو علمه ما جهل من أحوالهم الخ) أى أو على علمه ما جهل من أحوالهم فيكون معطوفا على ما وليس معطوفا على أنعم حتى يكون المعنى أو على ما علمه ما جهل لفساد التركيب هذا اذا جعل ما موصولة وأما اذا كانت مصدرية فالمعنى على انعامه أو تعليمه ما جهل من أحوالهم (قوله لتأكيد اختصاص الفعل به تعالى ليدل على نفى الشرك) لا يخفى ان نسبة الانبات بطريق التكلم أظهر فى الاختصاص فيكون آكد وتوضيحه أنه اذا قرئ بطريق التكلم يفيد الاختصاص من غير اعتبار شئ آخر وأما اذا قرئ بصيغة الغيبة فهو بحسب الظاهر يدل على اختصاصه بمن خلق السموات والارض اذ الضمير راجع اليه ولما كان خلق السموات والارض مختصا بالله تعالى كان انبات الحدائق مخصوصا به أيضا فاختصاصه به تعالى يكون بهذه الواسطة وانما لم يلتفت فى أنزل لان العجب فى انبات الحدائق المختلفة الانواع من الماء المتشابه أقوى من انزال الماء

قبلكم (أإله مع الله) الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ما تذكرون) أى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى واضافتها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التى لا منار بها (ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر ولو صح أن السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (أإله مع الله) يقدر على مثل ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان أنكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بأسباب سماوية وأرضية (أإله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على أن غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) لما بين اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم أو متصل على أن المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى وأولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف (وما يشعرون أيان يبعثون) متى ينشرون مركبة من أى وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى الأمر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى أمر الآخرة تهكما بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وأبو بكر ادّرك وأصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما و بل أدرك و بل تدارك و بلى أأدرك و بلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل انهم منها عمون أو رد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائى اننا لمخرجون

كاللازم له الخ) انما قال كاللازم لان التفرد بعلم الغيب ليس بلازم للقدرة العامة من حيث هى قدرة عامة وانما اللازم لها العلم لا التفرد به (قوله للدلالة على أنه تعالى الخ) لا يخفى ان هذه النكتة حصلت على جعل الاستثناء متصلا ودخوله تعالى فيمن فى السموات والارض بطريق الادعاء ولذا لم يجعل صاحب الكشاف الاستثناء منقطعا بل جعل المستثنى من جنس المستثنى منه بالفرض والتقدير (قوله لا يعلمونه كما ينبغى) أى يصدقون به على خلاف ما ينبغى ولا يخفى ان ما قاله المصنف لا يخلو عن ابهام وتوضيح المقام ان على القراءة المشهورة معنى الكلام بل اضمحل علمهم فى وقوع الآخرة بل هم فى شك منها متحيرين لم يدروا ما يقولون ولا يخفى ان هذا ازيق لان اضمحلال العلم قد يكون بحصول الظن فاذا أثبت الشك وقيل بل هم فى شك منها علم انتفاء الظن فيها أيضا ومعنى الحكم بانهم منها عمون الجاهلون بكل وجه فهو أقوى من الحكمين المتقدمين (قوله وهذا وان اختص الخ) أى أسند الى جميعهم بحسب الظاهر وان كان المراد البعض فيه ما فيه فالاولى ان يقال الضمائر للكفرة حتى لا يحتاج الى هذا التكلف (قوله تنزيل لاحوالهم الخ) اى ذكرجهلهم بأحوال القيمة أى كيف يشعرون بوقت

بنو نين على الخبر (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث (ان هذا الا أساطير الاولين) التى هى كالاسمار (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا بالمؤمنين فى ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولا تكن فى ضيق) فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق أى أمر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) لتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل (ولكن أكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت أى سترت (وما يعلنون) من عداوتك فيجازيهم عليه (وما من غائبة فى السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية أو اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة (الا فى كتاب مبين) بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضى بينهم) بين بنى اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويدل عليه أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم فى هذه الحالة أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدى العمى (ان تسمع) أى ما يجدى اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو فى علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة روى أن طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) بخروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله عز وجل أو علة خروجها أو

القيمة وهم لا يعلمون كونها بل كيف يشعرون وهم فى ظلمة الشك بل هم فى العمى (قوله وتقديم هذا على نحن الخ) أى التقديم علامة الاهتمام فحيث قدم هنا الذى هو اشارة الى البعث علم ان الاهتمام بشان البعث فاذا أخر هذا علم ان الاهتمام الى المبعوث وتوضيحه انه اذا قدم هذا يكون اشارة لى انكار البعث من حيث هو بعث أى ان البعث أمر محال واذا أخر وقدم المبعوث كان اشارة الى أن بعثنا وبعث آبائنا منكر ويؤيد ان ما وقع ههنا لانكار البعث المبالغة فى انكارهم للبعث حيث نفى عنهم العلم بوقت البعث ثم اضمحلال علمهم بوقوعه ثم الشك فيه ثم الجهل الصرف (قوله يكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم) يعنى لطفا للمؤمنين بأنهم ما اشتغلوا بالجرائم ولا يخفى ان عدم اشتغالهم وتركهم للجرم من لطف الله تعالى

تكلمها على حذف الجار (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) يعني يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج أي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (أماذا كنتم تعملون) أم أي شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد. ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وأن من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم (أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ في الصور) في الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق (ففزع من في السموات ومن في الارض) من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أن لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك (وكل أتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون الى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه على التوحيد للفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة في مكانها (وهي تمر مر السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله (الذي أتقن كل شئ) أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي (انه خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون) يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم في النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالايدي في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات أو باضمار القول أي قيل لهم ذلك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ذلك

(قوله وقدرة القاهر المذكور) يدل على توحده لبرهان التمانع (قوله لعله لا يخل الخ) أي ليس الغرض من ذكر الليل والنهار خصوص حالهما بل الغرض تحصيل أسباب المعاش ومصالح المعاد للكل فيهما (قوله فبولغ بجعل الابصار حالا من أحواله) انما لم يجعل السكون حالا من أحوال الليل كما جعل الابصار حالا من أحوال النهار لان الابصار لازم النهار وأما السكون فليس بلازم لليل اذ قد تتحرك الجماعة الكثيرة في الذهاب بالليل في الطرق الى الاسفار (قوله قيل هم جبريل الخ) قال الشيخ الكامل في الفتوحات واعلم أن منزل أهل القرية يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الارواح بل هم ممن استثنى الله بقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (قوله لانه فزع واحد من افزاع ذلك اليوم) وهو فزع الدخول في العذاب

بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة اشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل انما أنا من المنذرين) فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوّة وعلى ما علمنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود اوصالحا وابراهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك) نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا (من نبأ موسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل أو احزابا بأن أغرى بينهم العداوة كى لا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله (يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض) أن نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا فى الارض من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجرى مجرى المقارن (ونجعلهم أئمة) مقدمين فى أمر الدين (ونجعلهم الوارثين) لما كان فى ملك فرعون وقومه (ونمكن لهم فى الارض) أرض مصر والشام وأصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط والاطلاق الامر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) من بنى اسرائيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائى ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع (وأوحينا الى أم موسى) بالهام أو رؤيا (أن أرضعيه) ما أمكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به (فألقيه فى اليم) فى البحر يريد النيل (ولا تخافى) عليه ضيعة ولا شدة (ولا تحزنى) لفراقه (انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين)

(قوله وخروج دابة الارض) وعلى هذا فالخطاب فى سيريكم للجنس لا للموجودين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فى الصور الخ) الاول أن يكون الصور جمع صورة مخفف صور والثانى أن يكون الصور اسم القرن المخصوص

﴿سورة القصص﴾

(قوله ولا يلزم الخ) جواب سؤال هو انه لزم أن يكون ارادة المنة على المستضعفين مقارنة للاستضعاف ولا يخفى أن المراد لا يتخلف عن الارادة الالهية فيلزم أن تكون المنة المذكورة مقارنة للاستضعاف مع انه ليس كذلك بل استضعاف فرعون اياهم قبل المنة بسنين فأجاب أولا بأن تعلق ارادة المنة تعلق استقبالى فيكون المعنى ونريد أن نمن بعد ذلك بسنين وثانيا بأن ما أراد الله حصوله فى الزمان المستقبل فى حكم الحاضر فى تحقيق الوقوع

روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه فى قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائى وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لاجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأت فرعون) أى لفرعون حين أخرجته من التابوت (قرة عين لى ولك) هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه أو لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولو قال هو لى كما هو لك لهداه الله كما هداها (لاتقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه فانه أهل له (وهم لايشعرون) حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أى وهم لايشعرون أنهم على الخطأ فى التقاطه أو فى طمع النفع منه والتبنى له أو من أحد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لايشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لاعقول فيها ويؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو سماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الضجر أو الفرح لتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله أو من الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جوار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لايشعرون) أنها تقص أو أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها أثره (فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه قال انها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون أن تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لاأوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بولدها (ولاتحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن وعده حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد

تفسير الخاطئين بما ذكر أولا وهو أن يكون من الخطأ والثانى بالنظر الى المعنى الثانى وهو تفسير الخاطئين بالمذنبين (قوله أو خاطين الصواب الى الخطأ) يعنى ان الخاطين بالتخفيف مأخوذ من الخطوة والخاطى بمعنى المتجاوز (قوله خطاب بلفظ الجمع للتعظيم) أى الخطاب مع فرعون فقط للتعظيم ويمكن أن يقال المراد لاتقتلوه ولا يقتله آل الملتقطون فغلب المخاطب (قوله حال من الملتقطين) أى حال من فاعل التقطه وهو الآل (قوله أو من القائل والمقول له) الاول امرأة فرعون والمقول له فرعون وآله وقوله وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه ناظر الى الوجه الاول (قوله أو فى طمع النفع) ناظر الى الوجه الثانى ففيه لف ونشر (قوله أو من أحد ضميرى نتخذه) الضمير الاول ضمير المتكلم والثانى ضمير الغائب ولايخفى ان الاحتمال الاول من الاحتمالات المذكورة بعيد (قوله ويؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ) أى هدر باطل فكأنه بطل قلبها لان القلب الذى لاعقل له باطل فى حكم العدم (قوله روى أن هامان لما سمعه الخ) أى سمع امها قالت وهم له ناصحون قال فرعون مايأتى (قوله وماسواه الخ) أى ماسواه مما يترتب على الرد من الانعام عليها فارضاع موسى وتربيتها اياه تابع له (قوله وفيه تعريض الخ)

فرعون (ولما بلغ أشده) مبلغه الذى لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين سنة (واستوى) قدّه أو عقله (آتيناه حكما) أى نبوّة (وعلما) بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه (نجزى المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حائين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) فى وقت لا يعتادد خولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه) أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى) هو (من عدوّه) فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه أى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله وأصله فأنهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار أولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدوّ مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفرله) لاستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما أنعمت علىّ) قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أو استعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن أدت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها فى مظاهرة أعدائك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوىّ مبين) بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدوّ لهما) لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا أعداء لبنى اسرائيل (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى (ان تريد) ماتريد (الا أن تكون جبارا فى الارض) تطاول على الناس ولا تنظر فى العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل أو حال منه اذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى أن يهدينى سواء

انما حصل التعريض المذكور لان محصل علمه بما ذكر يشعر بأنه حصل منهما الا يناسبه العلم المذكور وهو اضطرابها (قوله وهو أوفق الخ) وعلى هذا فالمراد بالحكم علم الحكماء وبالعلم علم العلماء (قوله والاشارة على الحكاية) كأنه قيل فوجد فيها رجلين يقول الناظر اليهما هذا من شيعته وهذا من عدوّه (قوله لم يستثن) أى لم يقل فلن أكون ظهيرا للمجرمين ان شاء الله (قوله قاله الاسرائيلى الخ) يعنى أراد موسى أن يبطش على عدوهما وهم الاسرائيلى انه أراد أن يبطش عليه بناء على ما ذكر (قوله ومن قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر) لان المعنى قضينا هلاك قومه واللازم منه انتهاء حياة هؤلاء فاستعمل الملزوم فى اللازم فمعنى قضى عليه الموت أنهى حياته وانما قال ذلك لان قضاء الموت والفعل الذى هو ازالة الحياة ليس فعل موسى فلابد أن يؤول فقوله وأصله أنهى حياته معناه ان الاصل فى هذا المقام أنهى حياته وقوله من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن قوله فقضى عليه مأخوذ منه ههنا اذا قرئ فانتهى حياته من باب الافتعال كما هو فى بعض النسخ وأما اذا

السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لايعرف الطريق فعن له ثلاث طرق فأخذ فى أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم (قال ماخطبكما) ماشأنكما تذودان (قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء) تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وأبونا شيخ كبير) كبير السن لايستطيع أن يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الاسبعة رجال أو أكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى) لاى شئ أنزلت الى (من خير) قليل أو كثير وحمله الاكثرون على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما أنزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) أى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك) ليكافئك (أجر ماسقيت لنا) جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه الصلاة والسلام انما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى أنه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا أهل بيت لانبيع ديننا بالدنيا حتى قال له شعيب عليه الصلاة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان كل من فعل معروفا فأهدى بشئ لم يحرم أخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه (قالت احداهما) يعنى التى استدعته (ياأبت استأجره) لرعى الغنم (ان خير من استأجرت القوى الامين) تعليل شائع يجرى مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنه امر مجرب معروف روى أن شعيبا قال لها وماأعلمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى) أى تأجر نفسك منى أو تكون لى أجيرا أو تثيبنى من أجرك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف أى رعية ثمانى حجج (فان أتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لامن عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لانفسه فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر أو برعية الاجل الاول ووعدله أن يوفى الأخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك (وماأريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر أو المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بينى وبينك) أى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه (أيما الاجلين) أطولهما أو أقصرهما (قضيت) وفيتك اياه (فلاعدوان على) لا تعتدى على بطلب الزيادة فكما لاأطالب بالزيادة على العشر لاأطالب بالزيادة على الثمان أو فلاأكون معتديا بترك الزيادة

قرئ فانهى حياته من باب الافعال فالمعنى أبلغ حياته الى النهاية وهو أيضا من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر لان معناه أنهى حياة هؤلاء الجماعة (قوله مختلفين) الاختلاف اعما يفهم من أن الناس المجتمعين حول البئر يكونون مختلفين هكذا ذكره العلامة لطيبى ومن للبيان أى جماعة كثيرة هى ناس مختلفون (قوله دونه) أى دون المفعول أى الغرض هو البيان المذكور لا المفعول (قوله كالرخال) الرخال جمع رخل بكسر الخاء المعجمة الأنثى من ولد الضأن (قوله ولذلك الخ) أى لان الفقير بمعنى السائل أى الطالب عدى باللام كما أن الطالب عدى بها (قوله هذا) أى هذا ماذكر (قوله وان من فعل الخ) أى مع قطع النظر عما ذكر من فعل الخ (قوله فكانت الاغنام للمزوجة) انما قال ذلك لان الواجب ان مهر المرأة واصل اليها لا الى أبيها (قوله وهذا استدعاء الخ) لان الارادة لايحصل العقد بها ثم انه لم يعين أحد الشيئين وقوله مع انه يمكن الخ معناه ان ماذكرناه وبشرعنا ويمكن أن يكون فى شريعة شعيب يحصل العقد بما ذكر (قوله يشق الخ) أى يشق عليك اعتقادك

عليه كقولك لاأثم على وهو أبلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من أن يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان على وقرئ أيما كقوله

تنظرت نصرا والسما كين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

وأى الاجلين ماقضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أى اى الأجلين جردت عزمى لقضائه وعدوان بالكسر (والله على مانقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله) بامرأته روى أنه قضى أقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا أخرى ثم عزم على الرجوع (آنس من جانب الطور نارا) أبصر من الجهة التى تلى الطور (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (أوجذوة) عود غليظ سواء كان فى رأسه نار أولم يكن قال

بانت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولادعر

وقال آخر

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفئون بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أوصلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ (أن ياموسى) أى ياموسى (انى أنا الله رب العالمين) هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) أى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) فى الهيئة والجثة أوفى السرعة (ولى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولاتخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى و بالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو أن يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه (من الرهب) من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس (برهانان) حجتان و برهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض و يقال برهاء و برهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك) مرسلا بهما (الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ) معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى أخاف أن يكذبون) ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة أوحجة (فلا يصلون اليكما) باستيلاء أوحجاج (بآياتنا) متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما

وظنك مابين تقول تارة أطيقه وتارة لاأطيقه (قوله فيكون ما) على قراءة أيما الاجلين مالتأكيد عموم الاجل وفى التأكيد القضاء (قوله أوجذوة) قال فى الصحاح قال مجاهد فى قوله أوجذوة من النار أى قطعة من الجمر ونقل عن الراغب التى تبقى من الحطب بعد الالتهاب والوجه أن تعتبر الجذوة بهذا الابالعود والالم يناسبه قوله تعالى من النار (قوله جزل الخ) الجذل الحطب اليابس العظيم والجذى جمع جذوة والخوار الضعيف والدعر الحطب الردىء الكثير الدخان اشتشهد بالبيت الاول على أن الجذوة تطلق على العود من غير نار و بالثانى على العود معها (قوله هذا وان خالف الخ) الاولى أن يقال يحتمل أن يكون الخطاب مع موسى بلفظ يستفاد منه جميع ماذكر فذكر فى بعض المواضع بعضا منه وفى موضع آخر بعضا آخر

بها أو بمعنى لايصلون أى تمتنعون منهم أو قسم جوابه لايصلون أو بيان للغالبون فى قوله (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر (وما سمعنا بهذا) يعنون السحر أو ادعاء النبوة (فى آبائنا الاولين) كائنا فى أيامهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم أنى محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء (انه لايفلح الظالمون) لايفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله (فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال (وانى لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله تعالى أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيمة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيمة هم من المقبوحين) من المطرودين أو ممن قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) أنوار القلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) الى الشرائع التى هى سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله سبحانه وتعالى (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت بجانب الغربى) يريد الوادى أو الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه

(قوله أو قسم جوابه لايصلون) قال الطيبى فيه تساهل لان جواب القسم لايتقدم عليه ولا يكون فيه فاء ومراده ان ما قبله يدل على أن جوابه محذوف (قوله أو بيان) كأنه قيل بماذا يغلبون فقيل يغلبون بآياتنا (قوله بمعنى أنه صلة لما بينه) أى صلة للغالبين المقدر الذى بينه الغالبون المذكور (قوله كائنا فى أيامهم) فيكون حالا عن هذا كما هو المذكور فى الكشاف والاولى أن يقال المعنى ما سمعنا بوقوع هذا فى آبائنا الاولين حتى يكون الجار والمجرور متعلقا بذلك المقدر (قوله والمقصود منها الخ) لا يخفى أن الثواب والعقاب كليهما بالارادة الالهية ولو كانت الارادة الى الثواب دون العقاب لم يقع عقاب الا أن يقال ان الثواب يجرى مجرى المراد المقصود لان الله تعالى أمرهم بسلوك طريق الثواب ونهاهم عن طريق العقاب والاولى أن يقال المراد من عاقبة الدار العاقبة المحمودة بقرينة قوله تعالى له هكذا قال محيى السنة وعلى هذا لاحاجة الى قوله فان المراد الخ (قوله وهذا من خواص العلوم الفعلية) أى العلوم التى تكون أسبابا لمعلوماتها فان نفى السبب يستلزم نفى المسبب وأما العلوم الانفعالية فلما لم تكن أسبابا لم تكن كذلك فهذا اعتراض على القول المذكور وهو الذى ذكره الزمخشرى (قوله ولذلك ناداه باسمه) ينافى وسط الكلام دليل تعظيم فرعون لانه لم يذكره بصفة الوزارة ولم يبتدئ باسمه (قوله من المطرودين) كذا فى الكشاف وهذا يناسب ما قاله أبو الليث من أن المقبوح مأخوذ من قبحه بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا أيضا أى نحاه عن كل خير وأما المعنى الثانى

عليه وسلم أى ما كنت حاضرا (اذقضينا الى موسى الامر) اذأوحينا اليه الامر الذى أردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين) للوحى اليه أوعلى الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لاتعرف الابالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) أى ولكنا أوحينا اليك لانا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) شعيب والمؤمنين به (تتلوا عليهم) تقرأ عليهم تعلما منهم (آياتنا) التى فيها قصتهم (ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة و بالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة (ولكن) علمناك (رحمة من ربك) وقرئت بالرفع على هذه رحمة من ربك (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ما أتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم فى فترة بينك و بين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك و بين اسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها انما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أى انما أرسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات (ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) يعنى أبناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى أو كان فرعون عربيا من أولاد عاد (قالوا ساحران) يعنى موسى وهرون أو موسى ومحمدا عليهما السلام (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أوجعلهما سحرين مبالغة أواسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظهارا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) أى بكل منهما أو بكل الانبياء (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجىء حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء و باللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

ودواع دعايامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفى (بغير هدى من الله) فى موضع الحال للتأكيد أو التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير أو فى النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ

فيه ان قبح وجهه فعل فلازم لا يبنى منه اسم المفعول (قوله لانها الخ) أى لان لولا الثانية أجيبت بالفاء فتكون تحضيضية لان الامتناعية لا تجاب (قوله ما يجاب به) هو نفى الارسال فلزم ثبوت الامتثال (قوله وهو يؤيد الخ) أى يؤيد ان المراد بالساحرين فى قوله ساحران (قوله وداع الخ) أى رب داع دعا هل من مجيب الى الندى أى هل يجيب المستجدين فلم يجبه أحد (قوله أكلة رأس) أى قليلون يكفيهم رأس واحد

بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) أى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على أن ايمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وانما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر على أن تدخله فى الاسلام (ولكن الله يهدى من يشاء) فيدخله فى الاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا بن أخى قد علمت انك لصادق ولكن أكره أن يقال خدع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نخرج منها نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء (ثمرات كل شئ) من كل أوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموه وقيل انه متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لا يعلمون اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الامر بالعكس فانهم أحقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو باضمار زمان مضاف اليها أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) فى أصلها التى هى أعمالها لان أهلها تكون أفطن وأنبل (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر (وما أوتيتم من شئ) من أسباب الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) تتمتعون وتتزينون به

مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة و بهجة كاملة (وأبقى) لانه أبدى (أفلا تعقلون) فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيمة من المحضرين) للحساب أو العذاب وثم للتراخى فى الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء (و يوم يناديهم) عطف على يوم القيامة أومنصوب باذكر (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد (ر بنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء الذين أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول (أغويناهم كما أغوينا) أى أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافادة زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازما بهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين (و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسال أولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانباء يومئذ) فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن انما يفيض و يرد عليه من خارج فاذا أخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وغيرها فاذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول و يفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بانه مثله فى العجز (فاما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح (ور بك يخلق ما يشاء و يختار) لا موجب عليه ولا مانع له (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف و يؤيده ماروى أنه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى و يختار الذى كان لهم فيه الخيرة أى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم أو مشاركة ما يشركونه (ور بك يعلم

(قوله وهو أبلغ) لانه لما عدل عن الخطاب الى الغيبة أشعر بأن هؤلاء لا يستحق أن يخاطبوا فكان فيه زجر عظيم (قوله تشبيها للمنفصل) أى كما يقال فى عضد عضد بسكون الضاد وقال ثم هو بسكون الهاء فكان الميم متصلة بالهاء (قوله وهو تقرير الجملة المتقدمة) لان التبرأ عن الشخص مشير الى غوايته (قوله مبالغة) لانه اذا عميت الانباء التى ليست من شأنها العمى فالمشركون أولى بأن يكونوا عميا (قوله و يفوضون الخ) حيث يقولون لا علم لنا انك أنت علام الغيوب (قوله أو ترج) لانه يعلم العاقبة

ماتكن صدورهم) كعداوة الرسول وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا أحد يستحقها الا هو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون و بالليل (أفلا تبصرون) لان استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) فى الليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار بانواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها (و يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به أو الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان أنه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) فى الالوهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل أو حسدهم لما روى أنه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله (وآتيناه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح (لتنوء بالعصبة أولى القوة) خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قيل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه أن يكون وصلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) فيما أنعم الله عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بامر يكون علة للظلم والبغى نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم

(قوله لان استفادة العقل الخ) لان من جملة ما يستفاد من السمع كلام الله تعالى وأنبيائه

(قال انما أوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل العلم بكنوز يوسف وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أى فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أو رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه أى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها أو معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بان بين أنه لم يكن مطلعا على ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه فى زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) باحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون بل من الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصى (فخسفنا به وبداره الارض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فقال يا أرض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له من فئة) أعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن تقديره ويك اعلم أن الله (لولا أن من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها

(قوله والمعنى ما أشبه الامر) أى ما أشبه أمر قارون بأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من غير كرامة أى أشد مناسبة حالة قارون فى سعة رزقه بالبسط المذكور

للذين لا يريدون علوّا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت) وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم (الا ما كانوا يعملون) أى الامثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة فى المماثلة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) أى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك أن يبعثك فيه أومكة التى اعتدت بها على أنه من العادة رده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى أنه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم (ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الارحمة من ربك) ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ أنزلت اليك) وقرئ يصدنك من أصد (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم (لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ فى الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

﴿سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أو بما يضمر معه (أحسب الناس) الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فان معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى أنها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى أن يتوقع خلافه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

﴿سورة العنكبوت﴾ (قوله ووقوع الاستفهام) لان ما صدر بالاستفهام كلام مستقل منقطع عما قبله وقوله أو بما يضم معه أريد به ما ضم اليه من الراء والصاد فى المر والمص

الكاذبين) فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الله الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيآت) الكفر والمعاصي فان العمل يعم أفعال القلوب والجوارح (أن يسبقونا) أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء ما يحكمون) أي بئس الذي يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجوا لقاء الله) في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه أو الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فاما أن يلقاه ببشر لما رضي من أفعاله أو بسخط لما سخط منها (فان أجل الله) فان الوقت المضروب للقائه (لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضا (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وأفعالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغني عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائهما فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال أي وقلنا له أحسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي قلنا أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت انها لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين أو في مدخلهم وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله) بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) ما يصيبه من أذيتهم في الصرف عن الايمان (كعذاب الله) في الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) في الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون أو قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الاول (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازي الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذي نسلكه في ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومؤاخذة وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا

(قوله أولهما) أي أعطهما فالتقدير ووصينا الانسان بوالديه قلنا له أولهما وافعل بهما (قوله وهو أوفق لما بعده) اذ القول مقدر على قوله وان جاهداك (قوله والكمال في الصلاح الخ) قال العلامة الطيبي وذلك أن الصلاح ضد الفساد والفساد خروج الشيء عن كونه منتفعا به ولا كمال للانسان أكمل من حصوله على ما خلق له من البقاء ولا يحصل له ذلك في الدنيا فاذن ليس ذلك الا في مقعد صدق

الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن أثقالهم) أثقال ما اقترفته أنفسهم (وأثقالا مع أثقالهم) وأثقالا أخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شئ (وليسئلن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التى أضلوا بها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) بعد المبعث اذ روى أنه بعث على رأس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرير من البشاعة (فأخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فأنجيناه) أى نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا أو نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا أى أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أو بدل منه بدل اشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر أو كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى أو تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وأفكا على أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبونى (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذى يزال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن تكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله صلوات الله عليهما كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن تؤول الاعادة بأن ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما وتعطف

على

(قوله للدلالة على كمال العدد) لان الاستثناء لا يذكر الا للنص على العدد بحيث لا يحتمل الزيادة والنقص (قوله على تقدير القول) أى اذا كانت القراءة بتاء الخطاب كان القول مقدرا حتى يصح المعنى فيكون المعنى قال ابراهيم أولم تروا وأما اذا كانت القراءة بالياء كان هذا كلاما من الله للرد عليهم (قوله تعالى ثم يعيده) بحضره اخبار بالاعادة بالموت (قوله معطوف على أولم يروا الخ) اذا كان معطوفا على أولم يروا كان المعنى يرون ان الله يبدئ الخلق ثم يعيده

على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة أو الى ماذكر من الامرين (على الله يسير) اذ لا يفتقر في فعله الى شئ (قل سيروا في الارض) حكاية كلام الله لابراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الاعادة وأن من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها أهون والكلام في العطف مامر وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الأولى (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض ولا في السماء) ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض أو الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

(ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته أو بكتبه (ولقائه) بالبعث (أولئك يئسوا من رحمتي) أي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة أو أيسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون أسند الى كلهم (فأنجاه الله من النار) أي فقذفوه في النار فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك) في انجائه منها (لآيات) هي حفظه من أذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز أن تكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ماسبق وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبر ان على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له لوط) هو ابن أخيه وأول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال اني مهاجر) من قومي (الى ربي) الى حيث أمرني (انه هو العزيز) الذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل (وجعلنا في ذريته النبوة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه أجره) على هجرته الينا

(قوله والكلام في العطف مامر) يعني هو معطوف على سيروا أو انظروا الاعلى كيف بدأ الخلق لان الرؤية غير واقعة على الاعادة ويجوز أن يؤول انشاء النشأة بالانشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة فان قلت لزم عطف الاخبار على الانشاء قلت هذا وعكسه جائز في الجمل التي لها محل من الاعراب مثل ماوقع تحت القول مثل قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد نص عليه الزمخشري في سورة نوح

(فى الدنيا) باعطاء الولد فى غير أوانه والقرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لفى عداد الكاملين فى الصلاح (ولوطا) عطف على ابراهيم أو على ما عطف عليه (اذ قال لقومه أئنكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث (وتأتون فى ناديكم) فى مجالسكم الغاصة بأهلها ولا يقال النادى الا لما فيه أهله (المنكر) كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى البنادق (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك أو فى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان أهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم لهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وأنواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين أظهرهم (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه وأهله أو تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير للبيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء وأن صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقاله وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه أثر الضجرة (لا تخف ولا تحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم أبو بكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هى حكايتها الشائعة أو آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية أنهارها المسودة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أو آية (والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به ثوابه فأقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها (فأصبحوا فى دارهم) فى بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر أو فعل دل عليه ما قبله

(قوله بتخصيص الاهل) أى الاهل المذكور فى قوله انا مهلكوا أهل هذه القرية وفيه تأخير البيان لان قولهم نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله بيان لقوله انا مهلكوا أهل هذه القرية (قوله واتصالهما) أى ترتب أحدهما على الآخر (قوله باعتبار الاصل) لانه فى الاصل مفعول منجون اذ الاصل منجون لك فلما أضيف سقط النون

مثل أهلكنا وقرأ حمزة وحفص و يعقوب وثمود غير منصرف على تأويل القبيلة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى تبين لكم بعض مساكنهم أو اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم إليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) السوى الذى بينه الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا أو متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (أخذنا بذنبه) عاقبناه بذنبه (فنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء أو ملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته عز وجل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك أوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة وأعكب (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه (لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك و يجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان أوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ) على اضمار القول أى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون و يعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون أو مصدرية وشئ مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائدها المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم (وتلك الامثال) يعنى هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغى وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار اليه بقوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون به (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ماقرع سمعه (وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روى أن فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب (ولذكر الله أكبر) وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما

(قوله فيما نسجته) من تمام طرف التشبيه وقوله فى الوهن والخور وجه الشبه (قوله أو مثله بالاضافة الى الموحد الخ) فيكون فى طرفى التشبيه محذوف (قوله تحقيقا للتمثيل) يعنى لما مثل المشركين فى اتخاذ البيت حقق التشبيه بان صرح بان دينهم كبيت العنكبوت فى الوهن (قوله والكلام على الاولين) أى على أن تكون ما استفهامية أو نافية وقوله وعلى الأخيرين أى ان تكون مصدرية وموصولة (قوله تعليل على المعنيين) أى على ان يكون المقصود من قوله ان الله يعلم التجهيل والوعيد

عبرعنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيآت أو ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ماتصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لامجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) هو من المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام وأضرابه أو من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (ومن هؤلاء) ومن العرب أو أهل مكة أو ممن فى عهد الرسول من أهل الكتابين (من يؤمن به) بالقرآن (ومايجحد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون) الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيدهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار اليه بقوله (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أمى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوّز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الاولين الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف مافى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) يحفظونه لايقدر أحد على تحريفه (ومايجحد بآياتنا الا الظالمون) المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات (أولم يكفهم) آية مغنية عما اقترحوه (أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى أيديهم من نعتك ونعت دينك (ان فى ذلك) الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان أناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض مايقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات أو بتبليغى ماأرسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم مافى السموات والارض) فلايخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو مايعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطر

(قوله بانتفاء وجه واحد الخ) يعنى ان ارتيابهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه اعجازه وهو كونه أميا وظهور الكتاب المعجز منه موجب لكونهم مبطلين اذ لاوجه للارتياب بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز ووجود الوجوه الكثيرة منه (قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر) يعنى على هذا التقدير ابطالهم باعتبار كونهم من أهل الكتاب منكرين لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم وكونهم من أهل الكتاب أمر محقق لامقدر بخلاف الاحتمالين الاولين فان اتصافهم بالابطال على هذين الاحتمالين باعتبار أمر مقدر هو قولهم انه صلى الله عليه وسلم أخذه من كتب الاقدمين

علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) لكل عذاب أو قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاءه (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون) أي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها (كل نفس ذائقة الموت) تناله لا محالة (ثم الينا ترجعون) للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله (الذين صبروا) على أذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يتوكلون الا على الله (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسؤل عنهم أهل مكة (ليقولن الله) لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شئ من ذلك (قل الحمد لله) على ما عصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك واظهار حجتك (بل أكثرهم لا يعقلون) فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم (وما هذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة (الا لهو ولعب) الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة وأصله حييان

(قوله واللام للعهد الخ) أي لام الكافرين للعهد أو للجنس (قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام) ولعل رفاقته اياهما عليهما الصلاة والسلام لانهما هاجرا من بلدهما (قوله فيكون) متعلق بان يقرأ لنثوينهم من الثواء لان هذا الفعل متعد بمفعول واحد (قوله وابهامه) أي الضمير مبهم لم يذكر مرجعه فيكون المراد بالضمير المذكور غير من يشاء الذي ذكر وتوضيح الكلام ههنا ان ابهامه معطوف على وضع الضمير أي على وضع الضمير موضع من يشاء وابهام الضمير لان ابهامه أن لا يكون مرجعه مذكورا وانما جعل الضمير المبهم موضع من يشاء لان من يشاء أيضا مبهم ويحتمل أن يقال ان ابهامه مرفوع والمعنى ان ابهامه لابهام من يشاء (قوله عند مقالهم) أي عند قولهم الحمد لله لا يعلمون منه ما يفهم عنه فانك قصدت به ان كل الحمد له وهو المعبود بالحق لا غير والمشركون لا يعلمون ذلك (قوله أراد ان الفاء في فاذا ركبوا للتعقيب) أي هم بعد ان أشركوا اذا ركبوا في الفلك

فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم أى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كى أى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها أو لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله يؤمنون بالصنم أو الشيطان (وبنعمة الله يكفرون) حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول أو الكتاب وفى لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أول ما سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوائهم كقوله
* ألستم خير من ركب المطايا * أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو لاجترائهم أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والاعانة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿ سورة الروم ﴾

مكية الا قوله فسبحان الله الآية وآيها ستون أو تسع وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم غلبت الروم فى أدنى الارض) أرض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم أو فى أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الاضافة (وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب (سيغلبون فى بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهى أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله

(قوله اللام فيه الخ) كاللام فى قوله ليكون لهم عدوا وحزنا (قوله على طريق المبالغة) لان ايمانهم ليس مخصوصا بالباطل ولا كفرهم مخصوصا بنعمة الله المذكورة فانهم مؤمنون بوجود الصانع وكافرون بالصفات وبالرسول فليس الاختصاص ههنا حقيقة بل على طريق المبالغة والمقصود ان ايمانهم بالباطل بمرتبة من القوة وكذا كفرهم بنعمة الله حيث توهم انهما مختصان بهما (قوله أى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين الخ) يعنى انهم وان لم يعتقدوا ان جهنم مثوى للكافرين لكن لظهور دلائله فهو فى حكم ما اعتقدوه لان ما حصل للشخص بادنى تأمل وتوجه فهو فى حكم الحاصل فتوبيخهم بانهم علموا ان جهنم مثوى للكافرين مع انهم اجترؤا الجراءة المذكورة

﴿سورة الروم﴾

صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا أى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم أو بان ولى بعض أعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد (لا يخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التى هى غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهلهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا وأما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وأنموذج لأحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (أولم يتفكروا فى أنفسهم) أولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا فى أمر أنفسهم فانها أقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها المستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) متعلق بقول أو علم محذوف يدل عليه الكلام (وأجل مسمى) تنتهى عنده ولا تبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى أو قيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى أقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمرين قبلهم (كانوا أشد منهم قوة) كعاد وثمود (وأثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البزور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة اياها فانهم أهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالا فيها اذ مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى أقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى دار لا نفع لها (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو

(قوله تقريرا) علة الابدال (قوله المحققة) بالجر صفة الغفلة (قوله واشعارا) عطف على تقريرا (قوله ما يجتلى له الخ) فان فى النفس أنموذجا من كل شئ ولذا قيل عالم الانفس يطابق عالم الآفاق ولك ان تقول اذا كان المراد الامر بالتفكر فى أمر ذاته فما وجه ارتباط قوله ما خلق الله السموات والارض الخ بالامر المذكور قلنا اذا تفكر الشخص فى شان نفسه علم انه خلق من نطفة حاصلة من الغذاء الحاصل من الاسباب السماوية والارضية فاذا وصل الى هذه المرتبة من تفكر جزم بان الله خالق السموات والارض ثم جزم بان خلقهما ليس الا لما ذكر (قوله متعلق بقول أو علم محذوف) فيكون المعنى أولم يتفكروا فيقولوا ما خلق الله السموات الخ أو يعلموا ما ذكر

الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عملوا ما أدى الى تدميرهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) أي ثم كان عاقبتهم العاقبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاؤا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت به (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى أو خبر كان والسوأى مصدر أساؤا أو مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها ويجوز أن تكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وأن تكون أن مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدؤ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو وكذا السوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي المؤمنون والكافرون لقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما أكثر ويجوز أن يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر على أنها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي أدرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أي تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج

(قوله ويجوز الخ) فيكون المعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة الذي هو التكذيب بالآيات والاستهزاء بها العذاب الأبدي أو دخول جهنم أبدا ومثل ذلك (قوله والسوأى بالالف) قال الزمخشري والسوأى بالف قبل الياء قال صاحب التقريب هذا ليس مخصوصا بخط المصحف بل هو القياس (قوله اخبار الخ) أي هذا الكلام اما خبر بمعنى الامر حتى يكون المعنى تسبحون الله تسبيحا في هذه الاوقات أي سبحوه فيها أو دلالة الخ أي كلام دال على انه يقع التسبيح العقلي له تعالى والشهادة العقلية على استحقاقه الحمد فالمراد من الشهادة على تنزيهه هو دلالة الحوادث الكائنة في هذه الاوقات على تنزيهه دلالة عقلية والمعنى تسبح الله أي تسبيح وتنزيهه الشهادة على استحقاقه الحمد من حيث الدلالة العقلية في هذه الاوقات وزبدة الكلام انه اما أمر بتسبيح ذوي القول له تسبيح التسبيح القولي وكذا الحمد القولي له أو كلام دال على انه يقع تسبيحه واستحقاقه الحمد بل حمده بشهادة الحوادث كل منها بالعقل أي بالدلالة العقلية (قوله في هذه الاوقات الخ) فان المساء وقت زوال النور الكامل المنتشر في جميع الآفاق في زمان يسير والصباح وقت انتشار النور فيها في زمان يسير أيضا وكذا وقت الظهر وقت وصول النور الى النهاية وفيه وفي وقت العصر حصلت النعم والمكاسب ولا يخفى ان آثار العظمة والقدرة في الصباح والمساء أكثر لان في الاول حصل النور المبسوط وفي الآخر حصلت الظلمة المنتشرة في زمان قليل ولما كان كذلك كان تعالى على كمال العظمة والقدرة منزها

الحي

الحي من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحي) كالنطفة والبيضة أو يعقب الحياة الموت و بالعكس (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه أيضا تعقيب للحياة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي في أصل الانشاء لانه خلق أصلهم منه (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال أو لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لأمر المعاش أو بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما في ذلك من الحكم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم بان علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية (وألوانكم) بياض الجلد وسواده أو تخطيطات الاعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة (ان في ذلك لآيات للعالمين) لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو انس أو جن وقرأ حفص بكسر اللام و يؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة و يؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان المصدر به كقوله

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

(خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم أوله على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع أو تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال مثل كلمته شفاها (و ينزل من السماء ماء) وقرئ بالتشديد (فيحيي به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض

عن النقائص مناسب التسبيح في الوقتين المذكورين (قوله بان علم كل صنف لغته الخ) بان علم كل صنف ألفاظا مخصوصة وعلمه أيضا معاني مخصوصة وان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني أو ألهم كل صنف ألفاظا مخصوصة موضوعة لمعان مخصوصة وأقدره على استعمالها (قوله فلف) فيكون أصل التركيب منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار حتى يكون نشرا بعد اللف والاشعار المذكور باعتبار ان منامكم وان اختص بالليل فهو يحتمل أن يكون واردا على الوقتين ففيه اشارة الى صلاحية الوقتين للنام وكما أن منامكم يحتمل أن يكون متعلقا بهما كان الابتغاء أيضا كذلك وعلى هذا فالاولى ان يقال انما أخر ابتغاءكم للاشعار المذكور (قوله و يؤيده) أي يؤيد اللف والنشر الآيات الواردة في مواضع القرآن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

بأمره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى أخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما للتراخى زمانه أو لعظم مافيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان مابعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) والاعادة أسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والافهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكيره لأهون أو لان الاعادة بمعنى أن يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره مايساويه أو يدانيه (فى السموات والارض) يصفه به مافيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم (هل لكم من ما ملكت أيمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فأنتم فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) أن يستبدوا بتصرف فيه (كخيفتكم أنفسكم) كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التفصيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم) جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه (فمن يهدى من أضل الله) فمن يقدر على هدايته (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها (فأقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغراء أو المصدر لما دل عليه مابعدها (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغى أن يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستقيم الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير أنها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذى أضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل

(قوله والمراد الخ) أى المراد من الآية تشبيه ترتب قيام السماء والارض على مجرد ارادته وكذا خروج الموتى من القبور لا أن ههنا قولا مفيدا للامر بقيامها ولا كلام مفيد للامر بخروج الموتى فيكون المراد من يقول أيها الموتى اخرجوا مجرد ارادة الخروج (قوله بالاضافة الى قدركم) فكأنه قيل هو اهون عليه على تقدير ان تكون قدرته كقدرتكم (قوله يصفه به مافيهما دلالة ونطقا) أى يصفه أى الله تعالى مافيهما أى فى السموات والارض بكمال القدرة والحكمة التامة وغيرهما من سائر الصفات ماوجد فى السموات والارض دلالة أى دلالة عقلية أو نطقا أى دلالة لفظية (قوله تعالى تخافونهم) قال أبو البقاء هو حال من الضمير المستتر فى سواء أى فأنتم تساوون خائفا بعضكم (قوله غير ملتفت) هذا بصيغة الفاعل أى غير ملتفت الى شئ آخر وقوله أو ملتفت عنه بصيغة المفعول والاول حال عن الوجه والثانى عن الدين (قوله نصب على الاغراء أو المصدر) والمعنى على الاول ابتغوا فطرة الله وعلى الثانى فطرت فطرة الله (قوله لان الآية الخ) والمعنى فأقم أنت ومن معك (قوله غير انها صدرت الخ) متعلق بقوله لان الآية خطاب الخ أى الخطاب له ولهم لكن صدر بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما

للامر

(قوله فيستدلون به الخ) أما كمال القدرة فباعتبار انه قادر على بسط الرزق وأما كمال الحكمة فباعتبار انه لو بسط للجميع لبغوا في الأرض كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولو ضيق على كلهم لم يظهر كمال القدرة (قوله وغير مشعر به) اذ لم يعلم ان الحق هو النفقة ولأنها بعض الحق المذكور في الآية (قوله بالقصر) اى بقصر همزة اتيتم (قوله لتربوا) بضم التاء (قوله أثبت له لوازم الالوهية ونفاها عما اتخذوه شركاء) هذا النفي من تقديم ذكر الله وايراده في الجملة الاسمية على ماهو رأى صاحب الكشاف من أن مثل هذا التركيب يفيد التخصيص (قوله لوازم الالوهية) فانها تقتضى ان يخلق الخلق ليظهر كمال الخالق واذا خلق يجب الرزق عادة وأما الاماتة فكونها من لوازم الالوهية فباعتبار كمال القدرة أيضا أو بان يقال ان البعث بعد الموت والجزاء من جملة الكمال فهو من لوازمه فتكون الاماتة أيضا لازما لان البعث لا يكون الا بعد الموت فتأمل (قوله يفيد ان شيوع الحكم) فان الاولى للتبعيض فتفيد ان ليس لبعض الشركاء أن يفعل مافعله تعالى (قوله المنفى) وهو الفعل (قوله الموتان) بضم الميم موت يقع في الماشية (قوله أو بكسبهم الفساد) فيكون الفساد نفس المعصية (قوله واللام للعلة أو العاقبة) اذا كان الفساد عبارة عما ذكر أولا من الجدب وغيره مما يترتب على المعاصي كان اللام للعلة لان المعنى أظهر الله الفساد لما ذكر واذا كان المراد من الفساد نفس المعصية كان اللام للعاقبة اذ المعنى أظهر الناس المعاصي بكسبهم اياها للاذاقة ولا يخفى ان باعث الناس على المعاصي ليس الاذاقة المذكورة فتكون اللام لام العاقبة

للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء التحتية على أن تمتعوا ماض (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان أي ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق أو نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته أو بالامر الذي بسببه يشركون به في ألوهيته (واذا أذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجؤا القنوط من رحمته وقرأ الكسائي وأبو عمرو بكسر النون (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكاة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته أي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا أو جهة التقرب اليه لاجهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربا (ليربو في أموال الناس) ليزيد ويزكو في أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذي القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ماموصولة تقديره المضعفون به أو فمؤتوه أولئك هم المضعفون (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء (ظهر الفساد في البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه وفي البحر بان جلندا ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذي عملوا) بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه (قل سيروا في

الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك في أكثرهم ومادونه من المعاصي في قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتي يوم لامرد له) لايقدر أن يرده أحد وقوله (من الله) متعلق بيأتي ويجوز أن يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) أي وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون أو ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لايحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته أن يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى أو على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله) يعني تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله تعالى فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعار بأن الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (في السماء) في سمتها (كيف يشاء) سائرا أو واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة أخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) في التارتين (فاذا أصاب به من يشاء من عباده) يعني بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) لمجيء الخصب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمت الله) أثر الغيث من النبات والاشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (كيف يحيي الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعني أن الذي قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شيء قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر أو الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان

(قوله أو على يرسل فيكون التقدير ونجري الرياح لنذيقكم وهذا اذا كان الدال هو قوله لتجري او يكون التقدير ويرسل الرياح لنذيقكم وهذا اذا كان الدال يرسل المقدم ذكره وعبارته تحتمل الوجهين

مصفرا

مصفر المعطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سدّ مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله و يلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه (فانك لاتسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون أشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيأ وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما تأمرهم به (الله الذى خلقكم من ضعف) أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله خلق الانسان ضعيفا أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك اذا بلغتم الحلم أو تعلق بأبدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا أخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشيبة وشيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون مالبثوا) فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة أو نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علمه أو قضائه أو ما كتبه لكم أى أوجبه أو اللوح أو القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ (الى يوم البعث) ردوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لاتعلمون) أنه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه أى فقد تبين بطلان انكاركم (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر أو لان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما (ولاهم يستعتبون) لايدعون الى مايقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أو بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان أنتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزورون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون)

(قوله القطر) بفتح القاف وسكون الطاء المطر وهو جمع قطرة (قوله تعالى ولاتسمع الصم الدعاء الخ) فائدة قوله هذا مع ماقال انك لاتسمع الموتى ان الكفار لايسمعون الدعاء حقيقة فضلا عن أن يفهموا حقيقة ماهو معنى المسموع فعدم اسماع الموتى عبارة عن عدم وصول فهم الكفار الى المقصود من الالفاظ (قوله فى الدنيا الخ) فيه أنه اذا كان المراد من الساعة القيامة التى تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا فبعد ماتأتى القيامة كيف يقسم المجرمون القسم المذكور فالاولى ان يقال ان المراد من الساعة البعث وهذا هو المناسب لما سيجىء من قوله وقال الذين أوتوا العلم الآية (قوله فى علمه وقضائه) أى على ماقرر فى علم الله أو قضائه وهكذا التقديرات الاخر

لا يطلبون العلم و يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق و يوجب تكذيب المحق (فاصبر) على أذاهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك أى لا يزيغنك فيكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ماضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية﴾

الا آية وهى الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه فى يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه و بين خبره (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان أراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان أراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان و يحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه أو قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله و يزيد فيه (بغير علم) بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن (و يتخذها هزوا) و يتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى و يعقوب وحفص عطفا على ليضل (أولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لا يعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشابها حاله حال من لم يسمعها (كأن فى أذنيه وقرا) مشابها من فى أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى أو فى مستكبرا والثانية بدل منها أو حال من المستكن فى لم يسمعها و يجوز أن يكونا استئنافين وقرأ نافع فى أذنيه (فبشره بعذاب أليم) أعلمه بان العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أى لهم نعيم الجنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) قد سبق فى الرعد (وألقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ

﴿سورة لقمان﴾ (قوله فعكس للمبالغة) لانه اذا كانت الجنات لهم كان نعيمها لهم أيضا لان ملك الجنة مستلزم ملك نعيمها بخلاف العكس

(أن تميد بكم) كراهة أن تميد بكم فان تشابه أجزائها يقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أولشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين (و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق أوما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته فارونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب أوخالته وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه أمره بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا (أن اشكر لله) لأن اشكر أوأى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنى) لا يحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد أومحمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) أنعم أوأشكم أوماثان (وهو يعظه يابنى) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفى يابنى أقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء ومثله البزى فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء (لا تشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا) ذات وهن أوتهن وهنا (على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله فى عامين وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان (أن اشكر لى ولوالديك) تفسير لوصينا أوعلة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك (الى المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك (وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفى العلم به نفيه (فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من أناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيهما من النهى عن الشرك كأنه

قال وقد وصيناه بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق
التعظيم والطاعة لايجوز أن يستحقاه في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص
وأمه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من أناب اليه أبو بكر رضي الله عنه فانه أسلم
بدعوته (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل) أي ان الخصلة من الاحسان أو الاساءة ان تك مثلا
في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى
الحبة كقول الشاعر * كما شرقت صدر القناة من الدم * أو لان المراد به الحسنة أو السيئة
(فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض) في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه
كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته
(يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه
(يابني أقم الصلوة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر
على ما أصابك) من الشدائد سيما في ذلك (ان ذلك) اشارة الى الصبر أو الى كل ما أمر به (من عزم
الامور) مما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع ايجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون
بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر أي جد (ولا تصعر خدك للناس) لاتمله عنهم ولا تولهم صفحة
وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وأبو عمرو
وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه (ولا تمش في
الارض مرحا) أي فرحا مصدر وقع موقع الحال أي تمرح مرحا أو لاجل المرح وهو البطر (ان الله لايحب
كل مختال فخور) علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق
رؤس الآي (واقصد في مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة
المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب
المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك)
وانقص منه واقصر (ان أنكر الاصوات) أوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل في الذم سيما نهاقه
ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد أو لانه مصدر في
الاصل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات) بأن جعلها أسبابا محصلة لمنافعكم (وما في الارض)
بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أو غير وسط (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة
ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ وأصبغ بالابدال
وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه
بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل في الله) في توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل
(ولا هدى) راجع الى رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم اتبعوا
ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد في الاصول (أولو كان
الشيطان يدعوهم) يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى ما يؤل اليه من
التقليد أو الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم
وجهه الى الله) بأن فوض أمره اليه وأقبل بشراشره عليه من أسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده
القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) في عمله (فقد استمسك
بالعروة الوثقى) تعلق بأوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى الى شاهق

(قوله ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل) فيكون اطلاق العازم عليه اسنادا مجازيا لان العازم هو الآمر

(قوله وليس بمستفيض) فان قيل ظاهر العبارة أن قراءة ولا يحزنك بان يكون من باب الافعال ليس بمستفيض وفي الكشاف أن الذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه و يجوز أن يكون بمعنى الفاعل فبينهما اختلاف قلنا لعل مراد الكشاف ان أحزن يستعمل في الماضي و يحزن بفتح الياء مستعمل في المستقبل (قوله لان المراد تفصيل) قال في الكشاف أريد تفصيل الشجر وتعميمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا بريت أقلاما أقول لا يخفى انه اذا كان المراد تفصيل الآحاد لا يناسب ما قاله أولا من أن المعنى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما بل المناسب أن يقال ولو ثبت كون كل شجرة أقلاما لتفيد المبالغة (قوله والبحر يمده من بعده) المراد من البحر موضع الماء جعل بمنزلة الدواة وقوله من بعده معناه من بعد الماء أي من بعد فنائه فالبحر الاول بمعنى المكان وضمير بعده راجع الى البحر بمعنى نفس الماء ومعنى الكلام والبحر أي مكان الماء يمده من بعد فناء الماء الذي كان في ذلك المكان يعني لو فني ماء البحر الاعظم بسبب كتب كلمات الله وجعل سبعة أبحر مدادا وصبت في مكان الماء الاول بعد فنائه (قوله على انه مستأنف) لا يخفى ان جعله استئنافا يوجب عدم كونه مربوطا بالسابق واللاحق ولذا لم يذكره صاحب الكشاف بل قال أو على الابتداء والواو للحال (قوله والباء الخ) يعني أن الباء اما متعلقة بتجري كالباء في مررت فتكون الباء فيه للصلة أو متعلقة بمقدر هو حال مثل أن يقال التقدير تجري في البحر مقترنا بنعمة الله والأولى أن يقال ان الباء للسببية أو متعلقة بالحال المقدر

جبل فتمسك بأوثق عرا الحبل المتدلي منه (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائر اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) في الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا أو زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم (لله ما في السموات والارض) لا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة أبحر فأغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل أن ومعموليها ويمده حال أو للابتداء على انه مستأنف أو الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شئ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما أمره للشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري) كل من النيرين يجري في فلكه (الى أجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة أو مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته (وأن ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم في حد ذاته لانه لا يوجد ولا يتصف الا بجعله أو الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير أبي بكر بالياء (وأن الله هو العلي الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله) باحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة

أوالحال وقرئ الفلك بالتثقيل و بنعمات الله بسكون العين وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر فى الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها أوللمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظلل من جبل أوسحاب أوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد أومتوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطرى أولما كان فى البحر والختر أشد الغدر (كفور) للنعم (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) لايقضى عنه وقرئ لايجزئ من أجزأ اذا أغنى والراجع الى الموصوف محذوف أى لايجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أومبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر فى الآخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلاتغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها المروى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد ألقيت حباتى فى الارض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى أذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم مافى الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أوشر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وماتدرى نفس بأى أرض تموت) كمالاتدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين و يدل على أنه ان أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ماهو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على أن التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف أومبتدأ خبره (لاريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لايعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا ثانيا ولاريب فيه حال من الكتاب أواعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (أم يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولا الى اعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم أضرب

(قوله وقطع طمع الخ) لان شفقة الوالد لولده أقوى فاذا لم يكن الوالد يجزى عن ولده فالمولود أولى والاولوية تستفاد من ايراد الجملة الاسمية

﴿سورة السجدة﴾

(قوله بمضمون الجملة) وهو أن الكتاب من عند الله أى لاريب فيه من عند الله (قوله على هذا) أى على أن يكون المقصود تعدادا لحروف

عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكار اللهو تعجيبا منه فان أم منقطعة ثم أضرب عنه الى اثبات أنه الحق المنزل من الله و بين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا أهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) مر بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) مالكم اذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم و يشفع لكم أو مالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم و ينصركم فى مواطن نصركم على أن الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر (أفلا تتذكرون) بمواعظ الله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه) ثم يصعد اليه و يثبت فى علمه موجودا (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كألف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج و يعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على أمره (الرحيم) على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا (الذى أحسن كل شئ خلقه) خلقه موفرا عليه ما يستعده و يليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسنه أى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل (و بدأ خلق الانسان) يعنى آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت بذلك لانها تنسل منه أى تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغى (ونفخ فيه من روحه) أضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانه خلق عجيب وأن له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا أئذا ضللنا فى الارض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه أو غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا أنتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث أو يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى و يعقوب انا على الخبر والقائل أبى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث أو بتلقى ملك الموت وما بعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم) يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيأ ولا يبقى منكم أحدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى (ربنا) قائلين ربنا (أبصرنا) ما وعدتنا (وسمعنا) منك تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت

(قوله فالشئ على الأول الخ) يعنى لابد من تخصيص الشئ المذكور فان الواجب تعالى شئ ولا يدخل تحت الحكم المذكور فاما أن يختص بمنفصل أى شئ غير مذكور والمعنى كل شئ مخلوق أو بمتصل أى مذكور وهو خلقه الذى صفته (قوله على الخبر) أى بحسب الظاهر والا فهو فى الحقيقة انكار (قوله للتمنى) ويكون التمنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى قوله لعلهم يهتدون

أو يقدر مادل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول مني) ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من أهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة أو في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) لا ملك مقرب ولا نبي مرسل (من قرة أعين) مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وقرأ حمزة و يعقوب أخفي لهم على أنه مضارع أخفيت وقرئ نخفي وأخفى والفاعل للكل هو الله وقرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أي جزوا جزاء أو أخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا عن الايمان (لا يستوون) في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق في آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو على أعمالهم (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة في غيظهم (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقي منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

(قوله ولا يدفعه الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان دخول جهنم بسبب عدم مشيئة الايمان لم يكن حينئذ العذاب بسبب النسيان المذكور والالزم توارد العلتين على معلول واحد فأجاب بأن الامر المذكور سبب عادي ولا محذور في تعدد الاسباب العادية (قوله وفي استئنافه) انما دل الاستئناف على ما ذكر لان جعل الجملة مستقلة من غير عطف على سابق يدل على شدة الاهتمام به (قوله تعالى فمأواهم النار) يدل على أن مأواهم النار لا غير وأما قوله فلهم جنات المأوى لا يدل على أن مأواهم الجنة المذكورة بل لعلهم يدخلون موضعا آخر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان أظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بى موسى صلى الله عليه وسلم رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوأة (وجعلناه) أى المنزل على موسى (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس الى مافيه من الحكم والاحكام (بأمرنا) اياهم به أو بتوفيقنا له (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائى ورويس لما صبروا أى اصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة) يقضى فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (أولم يهد لهم) الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه (كم أهلكنا من قبلهم من القرون) أى كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) التى جز نباتها أى قطع وأزيل لا التى لاتنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وأنفسهم) كالحب والثمر (أفلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) فى الوعد به (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانهم لاينفعهم ايمانهم حال القتل ولايمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ماعرف من غرضهم فانهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بان ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

﴿سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها النبى اتق الله) ناداه بالنبى وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولاتطع الكافرين والمنافقين) فيما يعودون فى الدين روى أن أباسفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع مايوحى اليك من ربك) كالنهى عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك ماتصلح به أعمالك ويغنى عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على ان الواو ضمير

(قوله الغماء) يراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب أى لا يكشف الأمر العظيم الا رجل كريم يرى شدائد الموت ثم يقتحمها (قوله أو من لقاء موسى) يرد عليه انه كيف يترتب عدم كونه فى ريبة من لقاء موسى على ايتاء موسى الكتاب ويمكن ان يقال المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب فيكون نبيا فلاتك فى مرية من لقائه حين ملاقاة الانبياء ليلة الاسراء (قوله قرئ بالفتح) أى قرئ ينظرون بفتح الظاء فيكون اسم مفعول

﴿سورة الاحزاب﴾

الكفر والمنافقين أي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل أمرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أي ماجمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني أولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وماجعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم) وماجمع الزوجية والامومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر أوجيل بن أسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو واللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت على كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى ماذكر أو الى الاخير (قولكم بافواهكم) لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدي السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله (هو أقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوهم وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم في الدين) أي فهم اخوانكم في الدين (ومواليكم) وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو وسبق اللسان (ولكن ماتعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أو ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبني لاعبرة به عندنا وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روي أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فان كل نبي أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولوا الارحام) وذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض)

(قوله وذلك يمنع التعدد) أي يجب أن يكون القلب منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيواني بتمامه فلو كان لواحد قلبان لزم أن يكون كل منهما منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيواني بتمامه وهو باطل لتوارد علتين مستقلتين على معلول واحد ولك أن تقول لم لا يجوز أن يكون قلب منبعا لبعض القوى والقلب الآخر للبعض الآخر فتأمل (قوله بهذا التأويل) أي بتأويل الاخوة في الدين والولاية فيه (قوله واستحقاقه التعظيم) هذا الانتساب من قول عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء فانهن يستحققن التعظيم من الرجال والنساء

ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام أو صلة لاولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح أو القرآن وقيل فى التوراة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصهم بالذكر لانهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا عليه الصلاة والسلام تعظيما له وتكريما لشأنه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو تصديقهم اياهم تبكيتا لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على أخذنا من جهة ان بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين أو على مادل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم ريحا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده فى اعلاء دينه أو ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف مزيدة فى أمثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبر وافظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعنى أوس بن قيظى وأتباعه (يا أهل يثرب) أهل المدينة وقيل هو اسم

(قوله أو منقطع) والمعنى لكن فعلكم الى أوليائكم معروفا معتبر فى الشرع مستحسن فيه (قوله أو عن تصديقهم) عطف على ما أى عما قالوه لقومهم أو تصديق لأمم الانبياء والغرض تبكيت الكافر (قوله فان الخ) انما ذكر هذا لصدق المذكور فى قوله تعالى (قوله أو المصدقين) عطف على الانبياء

أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام) لاموضع قيام (لكم) ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أو مصدر من أقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (و يستأذن فريق منهم النبى) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها (وماهى بعورة) بل هى حصينة (ان يريدون الافرارا) أى وما يريدون بذلك الاالفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) دخلت المدينة أو بيوتهم (من أقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وماتلبثوا بها) بالفتنة أو باعطائها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب وقيل مالبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد الا يسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار) يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لايعودوا لمثله (وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أو قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم (واذا لاتمتعون الاقليلا) أى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الاتمتيعا أو زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله

* متقلدا سيفا ورمحا * أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضرعنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا أنفسكم الينا وقد ذكر أصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الاقليلا) الا اتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فانهم يعتذرون و يتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الاقليلا كقوله ماقاتلوا الاقليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه لايأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولايقاومونهم الاقليلا (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى أحداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه أو كدوران عينيه أو مشبهين به أو مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بألسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان (أشحة على الخير) نصب على الحال أو الذم و يؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه (أولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فأحبط الله أعمالهم) فاظهر بطلانها اذلم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به وعدم مايمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقليلا) رياء وخوفا من

(قوله أو مشبهين الخ) فيكون قوله تعالى كالذى يغشى عليه من الموت على أحد التقديرين حالا من ضمير ينظرون وعلى التقدير الآخر حالا من أعينهم (قوله أو أبطل الخ) فانه لولم يكن النفاق لكان لهم أعمال

التعيير

التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجوز يدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الأمر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (وما زادهم) فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة رضى الله عنهما (وما بدلوا) العهد ولا غيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعنى الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وأنزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب) يعنى قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليهما وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه الصلاة والسلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روى أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم

(قوله أرجوز يدا وفضله الخ) اى أرجو فضل زيد كذا فى الكشاف بدليل أن اليوم الآخر داخل فيها فذكره بعدها تكرار ولك أن تقول انه تخصيص بعد تعميم وللاشارة الى ضعفه قال وقيل

فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أما نخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة (وأرضا لم تطؤها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) زخارفها (فتعالين أمتعكن) أعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على أن المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو سببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم أو لقوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبى عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله (وأعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على أجرها (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار اذا اجتمع (ولا تبرجن) ولا تتبخترن فى مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية

(قوله تعالى وأسرحكن) لانه لما جعل التسريح وهو ايقاع الطلاق مترتبا على ارادة الدنيا ولم يترتب على ارادة الرسول شيأ من الطلاق علم انه لا يقع شئ باختيار المخيرة زوجها وأيضا لما كان اختيار الدنيا لا يوقع الطلاق بل يحتاج الى التسريح فاختيار الزوج أولى بعدم وقوع الطلاق (قوله خلافا لزيد الخ) فان زيدا قال انه يقع طلقة واحدة اذا اختارت نفسها واجاز الحسن التمتع وهو رواية عن مالك أيضا (قوله وقيل الخ) علة أخرى لتقديم التمتع على التسريح أى بعضهم قال ان الفرقة حصلت بمجرد ارادتهن الدنيا لان الآية توجب تفويض الطلاق اليهن فبمجرد ارادتهن يحصل الطلاق فاذا حصل الطلاق ترتب عليه المتعة فلذا قدم المتعة لان الطلاق حاصل أولا بمجرد الارادة

كفر أو إسلام قال بل جاهلية كفر (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن المعاصي (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق به (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (وأجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ما صح له (اذا قضى الله ورسوله أمرا) أي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم شيأ بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد ابن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة فذكرت لزيد

(قوله وهو ضروري الخ) أي عطف المسلمات على المسلمين وكذا النظائر الباقية ضروري اذ لا يصح أن يقال ان المسلمين المسلمات لكن يصح أن يقال ان المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات بحذف الواو من المؤمنين (قوله وجمع الضمير الاول الخ) هذا التفصيل غير مذكور في الكشاف بل قال لما وقع مؤمن ومؤمنة تحت النفي عم كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وما قاله صاحب الكشاف هو الظاهر وأما ما قاله المصنف ففيه خفاء وتوضيحه أن يقال ان الضمير الثاني راجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم أي ليس لهم بعد أمر الرسول أن يختاروا من أمرهم شيأ بل عليهم اتباع أمره مطلقا

ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها أو ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الاولى فى أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد الا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أمره الذى يريده (مفعولا) مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (فى الذين خلوا من قبل) من الأنبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى الا منه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع أن المراد منه أنه آخر من نبئ (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم الانواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلي عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات

(قوله فلا تطلقها ضرارا الخ) أي لا تطلقها بقصد الضرار بطلاقها أو للتعلل بتكبرها (قوله ولكن رسول الله) فان قلت ما وجه الاستدراك فى قوله تعالى ولكن رسول الله قلنا لما كان كل رسول أبا أمته وقد نص الله تعالى بأنه ما كان أبا أحد من الرجال توهم أنه صلى الله عليه وسلم ليس رسولا فدفع هذا الوهم بما ذكر فعلم منه أن الابوة المنفية هي الابوة الحقيقية (قوله ولما كان الخ) هذا بيان حكمة كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن أبا أحد من الرجال وبيانه انه لو كان أبا لرجل يكون ذلك الرجل نبيا فلم يكن خاتم النبيين وفيه انه يمكن أن يكون أبا لرجل لم يصل الى سن النبوة فيكون خاتم النبيين وأبا لأحد من الرجال (قوله من الصلاة) لان فيها العناية بصلاح الأمر

الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حيث اعتنى بصلاح أمرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور أو دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة (وأعد لهم أجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره وأطلق له من حيث انه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به عن ظلمات الجهالات و يقتبس من نوره أنوار البصائر (و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم أو على جزاء أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم (ودع أذاهم) ايذاءهم اياك ولا تحتفل به أو ايذاءك اياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا أن يكتفى به عن غيره (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى بالف وضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) أيام يتربصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما أشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء أو على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى أن يتوهم تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة (فمتعوهن) أى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة و يجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن لان المهر أجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله (و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) و يحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة و يعضده قول أم هانىء بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى

(قوله أى يحيون) يرد عليه أنه على التقدير المذكور يكون تحيتهم يوم يلقونه جملة وسلام جملة أخرى بتقدير شئ والاولى أن يقال المعنى ما يحيى بعضهم بعضا أو ما يحييهم الله به أو الملائكة سلام كما قال فى قوله وتحيتهم فيها سلام (قوله واختلاف النظم الخ) أى الظاهر أن يقال وأجر كريم حتى يكون جملة اسمية كقوله سلام لانه فى تقدير سلام عليكم فغير الى ما ذكر لمحافظة الفواصل والمبالغة المذكورة وهى انه أعد الآن لهم أجر كريم هذا على التفسير الذى ذكره لكن الوجه أن يقال ان تحيتهم يوم يلقونه سلام جملة اسمية فالمناسب أن تعطف عليه جملة اسمية أيضا والعدول الى الفعلية لما ذكر (قوله وأطلق له) أى أطلق الاذن للتيسير من حيث ان الاذن من أسباب التيسير (قوله من أناره الله) أى من أناره الله برهانا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم حقيق بأن يكتفى بالله ولا يلتفت الى غيره (قوله والضمير لغير المدخول بهن) اراد به انه لا يمكن أن يكون المراد بالتسريح طلاقا مرتبا على طلاق آخر لان البحث فى غير المدخول بها وهى لا يلحقها طلاق بعد طلاق لانها اذا طلقت واحدة بانت

لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) نصب بفعل يفسره ماقبله أوعطف على ماسبق ولايدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أى أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكرأربعا ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أى لان وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان أراد النبي أن يستنكحها) شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لاتوجب له حلها الابارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به أصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أى خلص احلالها أو احلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك أوحال من الضمير في وهبت أوصفة لمصدر محذوف أى هبة خالصة (قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم) من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم (وماملكت أيمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه و بين المؤمنين في نحو ذلك لالمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة و بالعكس أخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة في مظان الحرج (ترجي من تشاء منهن) تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك من تشاء وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) في شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والله يعلم مافي قلوبكم) فاجتهدوا في احسانه (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى (لايحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء (من بعد) من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لوماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى (ولا أن تبدل بهن من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو أعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في أن الآية محكمة أومنسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر (الاماملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا أمركم ولاتتخطوا ماحد لكم (ياأيها

يحتاج الى التأويل الذي ذكره في الاحتمال الثاني وانما قيل امرأة مؤمنة ان وهبت ولم يقل امرأة مؤمنة تهب لان الهبة المذكورة أمر نادر في صورة الشك (قوله للدلالة الخ) وجه الدلالة ان قوله تعالى قد علمنا مافرضنا الخ معناه قد علمنا السبب فيما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم وفي الفرق بينه و بين المؤمنين من كون الهبة خاصة له وغيرها من أحكام النكاح وهذا السبب هو المعنى الذي يقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة و بالعكس أخرى (قوله تعالى ولا أن تبدل بهن الخ) فان قلت هو يدل على أنه لا يجوز أن يطلق جميع الازواج و ينكح مكانها أزواجا أخر وأما عدم جواز تطليق واحدة ونكاح أخرى فلا يعلم منه قلنا اذا جاز تطليق بعض جاز تطليق كل بعض حتى يطلق الكل (قوله لتوغله في التنكير) اذلم يذكر له أمر يخصصه (قوله واختلف الخ) من قال انها منسوخة قال ان قوله تعالى ترجي من تشاء معناه جواز تطليق من تشاء على كل حال فنسخت بقوله تعالى ولا أن تبدل بهن ومن قال انها محكمة حمل ترجي من تشاء على المعنى الأول (قوله وقيل منقطع) بان يكون المراد من النساء الذين

الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الا وقت أن يؤذن لكم أو الا مأذونا لكم (الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أذن كما أشعر به قوله (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته أو ادراكه حال من فاعل لاتدخلوا أو المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر أنى الطعام اذا أدرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمكثوا ولانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون و يقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم (ولا مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أى ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشغاله بما لايعنيه (فيستحيى منكم) من اخراجكم بقوله (والله لايستحيى من الحق) يعنى ان اخراجكم حق فينبغى أن لايترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فأمركم بالخروج وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء (واذا سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر النفسانية الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا مايكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى أيام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها فتركها من غير نكير (ان ذلكم) يعنى ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد (لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) استثناء لمن لايجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبا فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أو لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعنى نساء المؤمنات (ولا ماملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر فى سورة النور (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه خافية (ان الله وملئكته يصلون على النبى) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك أيها النبى وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه فى العرف صار شعار الذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وان كان

الأزواج (قوله أن يؤذن الخ) الاذن المجرد عن الدعوة أن يقف عند الباب فيستأذن فيؤذن له والدعوة أن يطلب الى الطعام (قوله كما أشعر به قوله الخ) وجه الاشعار أن المدعو الى الطعام غير المنتظر لوقت حضور الطعام بل يدعى اليه وقت حضوره (قوله حال من فاعل لاتدخلوا) فيكون الاستثناء به واقعا على الوقت والدخول كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبى الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين اناه (قوله تعالى واتقين الله) عطف على مافهم مما سبق وهو أن يقال قدر ههنا استوعن المذكورين فيكون عطف انشاء على انشاء والتفاتا من الغيبة الى الخطاب

عزيزا وجليلا (ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذاء (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في أهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض (ذلك أدنى أن يعرفن) يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف ايمان وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم (والمرجفون في المدينة) يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو ما يضطرهم الى طلب الجلاء (ثم لا يجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم (فيها) في المدينة (الا قليلا) زمانا أو جوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضا أي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب عن قوله (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله في الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها (يسألك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أو امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلن نبتلي بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فأضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص أو اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على أنه برئ منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة

(قوله عن تزلزلهم الخ) فيه لف ونشر أي لئن لم ينته من قلبه قلة ثبات على الايمان عن تزلزلهم في الدين أو لم ينته الذين في قلوبهم فجور عن فجورهم

ووجاهة

ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها (و يغفر لكم ذنوبكم) و يجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماه أمانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى أنها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث لم يف بها ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية و بعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره و بحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن أن يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل أو التكليف و بعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن و باباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد و بحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله أو ما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وقيل الا قوله و يرى الذين أوتوا العلم الآية وآيها أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد فى الآخرة) لان ما فى الآخرة أيضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم ما يلج فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع و ينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (وما

(قوله من غير قصد) أى عدل فى القول (قوله تعالى يصلح لكم أعمالكم) جواب الأمر اى ان تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا يصلح الله أعمالكم ولا يخفى أن التفسير الثانى يدل على أن قبول العمل والاثابة عليه مشروط بالتقوى لكن العمل الصالح مقبول من المتقى وغيره والاولى أن يقتصر على الوجه الأول (قوله وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه) يعنى أن يقال ان قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا سبب وعلة لحمل الثقل والتكليف على الانسان أى جعله حاملا لهما

﴿سورة سبأ﴾

(قوله فان النعم) أى النعم الدنيوية قد تصل الى الغير بسبب المخلوق وهو يستحق الحمد أيضا وأما النعم الاخروية فليست كذلك أقول على هذا لا يناسب ما قدره وهو قوله فله الحمد فى الدنيا لان الصلة مقدمة ههنا أيضا فتفيد الاختصاص فلا فرق بين الحمد فى الدنيا والحمد فى الآخرة مع انه بصدد الفرق

يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها أو في الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقرر الوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدا خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لاتعب فيه ولامن عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (أليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين أوتوا العلم) ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة أو من مسلمى أهل الكتاب (الذى أنزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم باعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه مابعده فان ماقبله لم يقارنه ومابعده مضاف اليه أو محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء أخص من الكذب (بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لايرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى

(قوله والأبخرة والأدخنة) فيكون المراد من السماء جانب الفوق أو يقدر مضاف والمراد ما ينزل من جانب السماء وما يعرج فى جانبها (قوله تكرير لايجابه) لان الايجاب علم من لفظ بلى فيكون لتأتينكم تكرارا له (قوله وهو مرفوع الخ) أى يرى مرفوع غير معطوف على ليجزى بل هو جملة مستقلة وقيل يرى منصوب معطوف على ليجزى (قوله للدلالة على البعد والمبالغة فيه) أى على بعد كون زمان التمزيق زمان الخلق الجديد والمبالغة فى بعده (قوله فان ماقبله الخ) أى انما قلنا ان عامله محذوف لان ماقبله وهو ينبئكم لا يمكن ان يكون عاملا فى الظرف لان الانباء لايقارن الظرف وهو زمان التمزيق ومابعد الظرف وهو مزقتم وخلق جديد لا يمكن شئ منهما أن يكون عاملا فى الظرف أما الاول فلانه مضاف اليه وهو لايعمل فى الظرف وأما الثانى فلان مابعد ان لايعمل فيما قبلها (قوله وهو) أى الواسطة كل خبر وتذكير الضمير بتأويل الوسط (قوله عدم رجاء الخلاص) يفهم من وصف الضلال بالبعد فانه يفهم منه المبالغة فى وصفهم بالضلال (قوله كأنهم يستحقونه فى ذواتهم) لا بسبب الضلال

جعلوه افتراء وهزأ وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم السماء وانا ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله والكسائي وحده بادغام الفاء في الباء وحفص كسفا بالتحريك (ان في ذلك) النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في أمره (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن (ياجبال أوبي معه) رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار وقرئ أوبي من الاوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا باضمار قولنا أو قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية أو على فضلا أو مفعول معه لأوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاتانة أو بقوته (أن اعمل) أمرناه أن اعمل فأن مفسرة أو مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها (وقدر في السرد) وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتنخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود وأهله (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب أساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة أو جملة من مبتدا وخبر (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) عما أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) وصورا هي تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافي لاتنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لان العمل له شكر أو الوصف له أو الحال أو المفعول به (وقليل من عبادي الشكور) المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم على موته) ما دل الجن وقيل آله (الا دابة الارض)

على في قريش واخباره بالبعث مشهور بينهم فيقصدون بذلك السخرية وأشرحوه مخرج التحاكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي (قوله والمعنى أعموا) أراد ان الهمزة في أفلم يروا وارد على مقدر هو عموا ليعطف عليه فلم ينظروا (قوله لقوله افترى على الله) أي لما تقدم ذكر الله تعالى ناسب ان يكون الضمير غائبا ليرجع اليه (قوله الترجيع) ترديد القراءة (قوله يفهم منه انه ليس في عصره ملك غيره) وفيه خفاء الا ان يقال المراد من الملك النوع الحاصل له اذ ليس في وقته من كان له مثل ما للداود (قوله باضمار قولنا أو قلنا) فان كان بدلا من فضلا كان المقدر قولنا والمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا قولنا ياجبال الخ وان كان بدلا من آتينا كان المقدر وقلنا (قوله فبدل بهذا الخ) أي جعل ياجبال أوبي بدلا من ولقد آتينا داود فضلا تأويب الجبال لما في هذا البدل من الفخامة الخ (قوله تماثيل للملائكة والانبياء) أي صورا وصورهم على النحو الذي كانوا أي الانبياء والملائكة عليها في عاداتهم ليراها الناس فيتذكروا عاداتهم فيعبدوا نحوهم (قوله أو الوصف له) فيكون شكرا صفة عملا المقدر أي عملا مشكورا (قوله آله) أي سليمان

أي الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فارضت أرضا مثل أكلت القوادح لاسنان أكلا فاكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته أي طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة وقرأ نافع وأبو عمرو ومنساته بألف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى أن خر أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله واعلم به فاراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب (في مساكنهم) في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وأنه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بانهم كانوا أحقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه أو المسناة التي عقدت سكرا على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة وقيل الاراك أو كل شجر لاشوك له والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا أو عطف بيان (وأثل وشيء من سدر قليل) معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو

(قوله أضيفت الى فعلها) أشار الى ان الارض مصدر بالمعنى الذي ذكر (قوله كما يزعمون الخ) الظاهر ان الجن لا يزعمون انهم يعلمون جميع الغيوب وعلم بعضها لا يستلزم العلم بما ذكر فلا يلزم من عدم علمهم بحال سليمان عليه السلام عدم تبين بطلان زعمهم ويمكن أن يقال انهم زعموا علم الغيوب التي تعلقت بهم أو توجهوا اليها وموت سليمان كان منها (قوله بدل منه) أي بدل من مقدر والتقدير تبين أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الآية (قوله ولعله أخرجه الخ) لان القاعدة ان الهمزة التي كان ماقبلها متحركا بالفتحة أن تكون بين بين لا قلبها ألفا (قوله أو لسان الحال) فكأنه قال لسان حالهم لهم كلوا الخ (قوله سيل الامر العرم) فيكون الامر العرم المطر الشديد أو السحاب الكثير الامطار (قوله فحذف المضاف الخ) يعني ان الأكل الثاني مضاف الى خمط وبدل أو عطف بيان للأكل الاول

الطرفاء ولاثمرله وقرئابالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلةفان جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ أبو عمرو ذواتى أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل (ذلك جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل اذروى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيافكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجارى الا الكفور) وهل يجازى بمثل مافعلنابهم الا البليغ فى الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجارى بالنون والكفور بالنصب (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنافيها) بالتوسعة على أهلها وهى قرى الشأم (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أوراكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى فى قرية و يبيت الرائح فى قرية الى أن يبلغ الشام (سيروافيها) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال (ليالى وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمنين) لايختلف الامن فيها باختلاف الاوقات أو سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها أو سيروافيها ليالى أعماركم وأيامها لاتلقون فيها الا الأمن (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم و بين الشأم مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء واسناد الفعل الى بين (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوابها (فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدى سبا (ومزقناهم كل ممزق) ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك) فيماذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك و يجوز أن يعدى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم و برفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات أو ببنى آدم حين رأى أباهم النبى ضعيف العزم أو مارك فيهم من الشهوة والغضب أو سمع من الملائكة قولهم أتجعل فيهامن يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن من قدر ايمانه و يشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لاتخفى (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ والزنتان متآخيتان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته مقامه ولايجوز أن يكون هو مفعوله الثانى لانه لايلتئم مع الضمير كلاما ولا لايملكون لانهم لايزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لايقبل المكابرة فقال (لايملكون

(قوله ووصف السدر بالقلة) أى لما كان المقصود تحقير البدل لم يناسب كثرة النبق لانه طيب فلم يلائم التحقير فوصف بالقلة لان القليل كالعدم (قوله أو سيروا آمنين) فعلى الاول يكون آمنين حالا من فاعل سيروا باعتبار الليالى والايام وعلى الثانى يكون حالا من فاعل سيروا باعتبار طول المدة (قوله حيث بطروا الخ) فالاول بالنظر الى التفسير الاول وهو على تقدير أن يقرأ باعد بصيغة الامر والثانى على تقدير ان يقرأ بصيغة الاخبار (قوله تعلقا يترتب عليه الجزاء) أى علما بالايمان والكفر الموجودين فان هذا النحو من العلم يترتب عليه الجزاء (قوله مبالغة) وهى ان العلم بايمانهم ملزوم ايمانهم ففيه المبالغة التى فى سائر المجاز ولذا قالوا المجاز أبلغ من الحقيقة (قوله نكتة لاتخفى) وهى أن الايمان حادث فيناسبه الفعل وأما الشك فهو أمر أصلى لهم فناسب الجملة الاسمية الدالة على الثبات (قوله والزنتان متاخيتان) أى الفعل والفاعل بمعنى واحد (قوله لانه لايلتئم الخ) يعنى ان قوله زعمتم من دون الله لايكون كلاما صحيحا (قوله ولا لايملكون) أى لايجوز أن يكون مفعوله الثانى

مثقال ذرة) من خير أوشر (فى السموات ولافى الارض) فى أمرهما وذكرهما للعموم العرفى أولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (ومالهم فيهما من شرك) من شركة لاخلقا ولاملكا (وماله منهم من ظهير) يعينه على تدبير أمرهما (ولاتنفع الشفاعة عنده) فلا ينفعهم شفاعة أيضا كما يزعمون اذلاتنفع الشفاعة عند الله (الالمن أذن له) أذن له أن يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى قولك جئتك لزيد وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة (حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظار اللاذن أى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ أى نفى الوجل من فرغ الزاد اذافنى (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) فى الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذوالعلو والكبرياء ليس لملك ولانبى من الانبياء أن يتكلم ذلك اليوم الاباذنه (قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لايملكون (قل الله) اذلاجواب سواه وفيه اشعار بأنهم ان سكتوا أوتلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم (وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعدما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها أوركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك لايرى شيأ أومحبوس فى مطمورة لايستطيع أن يتفصى منها (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فى الاخبات حيث أسند الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفاصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بماينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) لأرى باى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله أوللشأن (وماأرسلناك الا كافة للناس) الاارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أوالاجامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولايجوز جعلها حالا من الناس على المختار (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنذر عنه أوالموعود بقوله يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) وعد يوم أوزمان

لايملكون لماذكر (قوله فلاينفعهم شفاعة أيضا) كما لاتنفعهم فى الدنيا اذلايملكون شيأ (قوله وقرئ فرغ) أى قرئ بالراء المهملة وهو ساقط فى بعض النسخ (قوله لانه فى صورة الانصاف) لايخفى ان ايراد أوبدل الواو من الانصاف حيث لم يجزم بان الكفار على الهدى أوفى ضلال بل رده هذا المحال بين المؤمنين وبينهم (قوله وقيل انه على اللف) فيكون على هدى متعلقا بقوله انا وفى ضلال يتعلق باياكم ووجه النظر انه لوكان على اللف لوجب الواو بدل أو (قوله واختلاف الحرفين) أى على وفى (قوله أوزمان وعد) فيكون الميعاد بمعنى زمان الوعد فتكون الاضافة للتبيين

وعدوا اضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار أعنى (لاتستأخرون
عنه ساعة ولاتستقدمون) اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت
والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب
الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم
انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة (ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم) أى فى موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون
ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا أنتم)
لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)
أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الايمان وأثبتوا انهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا
عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم أى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا
ليلا ونهارا حتى أعورتم علينا رأينا (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) والعاطف يعطفه
على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر
ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)
وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها
فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى أشكيته (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين
كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب أغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا
يعملون) أى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على أعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى أو بنزع
الخافض (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى
به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا
والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب
فقالوا (انا بما أرسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) فنحن
أولى بما تدعونه ان أمكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لا يكون أو لانه أكرمنا بذلك
فلا يهيننا بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه
الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا
ما يكون للاستدراج كما قال (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة والتى اما
لان المراد وما جماعة أموالكم واولادكم أو لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ باللذى أى
بالشئ الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم أى الاموال والاولاد
لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح
أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف (فأولئك لهم جزاء الضعف) أن يجازوا الضعف الى
عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما
على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذى دل عليه لهم (بما عملوا وهم فى
الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس

(قوله مطابقا الخ) أى
قصدوا بسؤالهم عن البعث
انكاره فالمناسب بجوابهم
قوله تعالى قل لكم ميعاد يوم
لاتستأخرون عنه الخ لان
فيه مبالغة فى اثبات الوعد
المذكور وتقرره فى وقت
معين لو أريد تقدمه على ذلك
الوقت لم يتيسر لانه خلاف
مراد الله تعالى (قوله وتعدية
يجزى الخ) أى يجزى متعد
فى الاصل بمفعول واحد
وههنا عدى بمفعولين
وتعديته بمفعول ثان للتضمين
المذكور والمعنى ما يجزون
الا قضيا عليهم ما كانوا يعملون
أو تعديه بنزع الخفض
بان يكون التقدير هل
يجزون الا لما كانوا يعملون
أى الا لاجل عملهم فتكون
ما مصدرية (قوله ولذلك
ضموا الخ) أما التهكم ففى
قولهم انا بما أرسلتم لانهم
أنكروا الرسالة وأما التفاخر
ففى قولهم نحن أكثر
أموالا وأولادا (قوله على
حذف المضاف) والتقدير
الا أموال من آمن

(والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له) يوسع عليه تارة و يضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وماسبق فى شخصين فلاتكرير (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اماعاجلا أو آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته (و يوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء ايا كم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك وأصله وقرأ حفص و يعقوب بالياء فيهما (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أنت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا و بينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غيرالله وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون اليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا) اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الاافك) لعدم مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوة أو للاسلام أو للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الاسحر مبين) ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه و ينذرهم على تركه وقد بان من قبل أن لاوجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب أو الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما أعظكم بواحدة) أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه (أن تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر و يخلط القول (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل أو البيان أو الرفع أو النصب باضمار هو أو أعنى (ما بصاحبكم من جنة) فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك أو استئناف منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد و يلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل

(قوله تعالى قل ان ربى الخ) مؤكد لما سبق من قوله وما أموالكم ولا أولادكم الخ فانه لما كان الله تعالى هو الباسط للرزق على من يشاء من عباده لاوجه لان يكون المال أو الولد سبب للزلفى عنده (قوله فهذه فى شخص واحد) لان الضمير والمرجع واحد وأما قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر فهو فى تقدير و يقدر لمن يشاء فالثانى غير الاول لان كلا منهما ظاهر لا ضمير (قوله ولان عبادتهم الخ) لان أوائل المشركين عبدوا الاصنام التى جعلوها تماثيل الملائكة أو لانهم عبدوا أنفسهم لاتماثيلهم (قوله مبين الخ) أى المقصود من تقديم لا يملك الخ هو قول الله لهم ذوقوا (قوله ومافى اللامين الخ) أى اللام فى الذين اشارة الى القائلين وفى قوله للحق اشارة الى المقول وهو القرآن أو النبوة (قوله تمهيدا للقول) مفعول للمبالغة (قوله ومحله الجر الخ) أى محل أن تقوموا الجر على البدل من واحدة الخ

مااستفهامية والمعنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون (ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ماسألتكم من أجر) أى شئ سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال عنه كانه جعل التنبى مستلزما لأحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما أن يكون لغرض أو لغيره وأياما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ماموصولة مرادبها ماسألهم بقوله ما أسالكم عليه من أجر الامن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لاأسالكم عليه أجرا الاالمودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم (ان أجرى الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به الى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان أو خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرأ حمزة وأبو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الاسلام (ومايبدئ الباطل ومايعيد) وزهق الباطل أى الشرك بحيث لم يبق له أثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لايبدى ولايعيد

وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولايعيده أولايبدئ خيرا لاهله ولايعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسى) فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان أخفاه (ولوترى اذفزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا (فلافوت) فلايفوتون الله بهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا أو لافوت ويؤيده أنه قرئ وأخذ عطفا على محله أى فلافوت هناك وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله مابصاحبكم (وأنى لهم التناوش) ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات عنهم أوانه وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها أو أنه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جار أبى الجاموش * اليك نأش القدر النؤش

أو من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الامور أمور

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك أوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو فى العذاب من البت على نفيه (من مكان بعيد) من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى تمحلوها فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو حال الآخرة كما حكاه

(قوله عطف على محله) أى على محل فوق لانه مرفوع المحل (قوله وقد ذكره الخ) أى مر ذكر محمد فيكون الضمير راجعا اليه (قوله أوانه عطف على ماسبق) من حيث المعنى والتقدير التناوش بمعنى التناول لهم أوانه الخ

من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال لقاذف في تحصيل ماضيعوه من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الأمم الدارجة (انهم كانوا في شك مريب) موقع في الريبة أو ذي ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة

* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وآيها خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة أو بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد في الخلق ما يشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شيء قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة (ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب (من رحمة) كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة (فلا ممسك لها) يحبسها (وما يمسك فلا مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على ما يشاء ليس لاحد أن ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق أمر الناس بشكر انعامه فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف أو بدل فان الاستفهام بمعنى النفي أو لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (وان يكذبوك

(قوله على حكاية الحال الماضية) لانه على هذا التقدير يكون المعنى قد كفروا به من قبل وقذفوا بالغيب (قوله فيكون تمثيلا الخ) لان المقصود تضييع ايمانهم في هذا الوقت فيكون معنى ويقذفون بالغيب الخ انهم ليسوا على شيء لانهم ضاع ايمانهم

﴿سورة فاطر﴾ (قوله تعالى جاعل الملائكة) فان قلت لا يخلو اما أن يكون الجاعل بمعنى الماضي أو بمعنى غيره فان كان الاول لزم أن لا يعمل لان شرط عمله عدم كونه بمعنى الماضي وان كان الثاني لزم أن يكون اضافته غير محضة فلا يصلح لان يكون صفة للمعرفة وهو لله قلنا صرح العلامة الطيبي بان مثل هذا للاستمرار فباعتبار انه يدل على المضي يصلح لكونه صفة للمعرفة وباعتبار أنه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل (قوله لان اختلاف الاصناف الخ) أي ان كان اختلاف أصناف نوع واحد بالخواص لذات تلك الاصناف وهو النوع لزم تنافي لوازم الامور المتفقة لانه لما كان اختلاف الخواص بسبب النوع كان النوع مقتضيا لكل من تلك الخواص فكان كل منها لازما للنوع فلزم تنافي لوازم الامور المتفقة في الذات والحقيقة لان ما هو لازم للنوع لازم للاصناف وكذا ان كان اختلاف الانواع في الفصول بسبب طبيعة الجنس المشترك بينهما لزم ما ذكر بالقياس على ما ذكرنا وهذا هو مقصوده وان كان في عبارته قصور (قوله وفي ذلك الخ) وجه الاشعار ان الفقرة الاولى مخصوصة بالرحمة وهذه الفقرة مشتركة بينها وبين غيرها وهو الغضب فكانت الرحمة غالبة على الغضب (قوله فقد يكون اطلاق الخ) اى عدم تقييد الخالق بشيء ونفيه مطلقا عن غير الله مانع من اطلاق الخالق على غير الله

(قوله فحذف الجواب) وكأنه قيل لا ينبغي ذلك فحذف لما ذكره وعلى هذا يكون قوله تعالى فان الله يضل من يشاء مؤخر المحل عن فلا تذهب قدم عليه وأصل الكلام أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فكأنه قيل لا فقيل فاذا كان كذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء (قوله فحذف الجواب) يعني كأنه صلى الله عليه

فقد كذبت رسل من قبلك) أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة (والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب (يا أيها الناس ان وعد الله) بالحشر والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود (ان الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته و بيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة و بناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ماهي عليه فحذف الجواب لدلالة (فان الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير أن الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه (والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده اليها و يجوز أن يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد (فأحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فانه سبب السبب أو الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ماهو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع (كذلك النشور) أي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) أي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل

وسلم قال في جواب هذا القول وهو قوله تعالى أفمن الخ ليس الاول كالثاني فحذف الجواب لما ذكر (قوله والفاآت الثلاث الخ) أما الفاء في فرآه حسنا فلانه يفيد ان التزيين سبب للرؤية المذكورة وأما الفاء في فان الله فلانه يفيد أيضا ان الاضلال سبب أيضا للرؤية المذكورة فان الفاء السببية قد تكون لافادة ان ما بعدها سبب لما قبلها كما في قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم صرح به الرضي وأما الفاء في فلا تذهب فلانه يفيد انه تعالى يضل من يشاء فلا ينبغي اهلاك النفس للحسرة ولا يخفى ان الاولين دخلتا على السبب لان الرؤية سبب للنهي عن ذهاب النفس المذكورة لانه لما كان أحد رأى عمله القبيح حسنا لا ينبغي لغيره الحسرة عليه وكذا اضلال الله تعالى لشخص سبب للنهي المذكور لانه لما كان الله مضلا لاحد لا ينبغي لغيره هلاك نفسه للحسرة عليه فظهر ان الفاءين الاولين سببان للنهي عن الذهاب المذكور وهو مسبب لهما (قوله ويجوز الخ) أي يجوز أن يكون اختلاف الافعال بان يكون بعضها ماضيا و بعضها حالا للدلالة على ان أمر المطر والسحاب أمر مستمر (قوله وقيل في كيفية الاحياء) عطف على قوله في صحة المقدورية والمعنى مثل احياء الاموات نشور الاموات في كيفية الاحياء

لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أو للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل (والذين يمكرون السيآت) المكرات السيآت يعنى مكرات قريش للنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لا يؤبه دونه بما يمكرون به (ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم عليه السلام منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) الا معلومة له (وما يعمر من معمر) وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر (ولا ينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره و ينقضى فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل (الا فى كتاب) هو علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ أو الصحيفة (ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ أو الزيادة أو النقص (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهى بقاء أحدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر بما يشاركه فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال (يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هى مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض

وعلى بناء المفعول (قوله فحيا بها وجه الرحمن) استعارة من استقبال المحيا وهو الوجه (قوله بجعله ناقصا) أى بان يجعل فى الاصل ناقصا كما فى سبحان الذى صغر جسم البعوض (قوله على التسامح) هو ان العبارة المذكورة دالة على تعارض الطول والقصر فى عمر واحد وهذا لا يكون فالمعنى ولا ينقص من عمر من يصلح للتعمير فيكون هذا المعمر غير المعمر الاول لانه المعمر بالفعل والضمير عبارة عما لا يكون كذلك (قوله لا يثيب الله عبدا الخ) قال العلامة الطيبى فيه اعتزال خفى وذلك لان مذهبهم ان استحقاق العذاب بكبيرة يحبط استحقاق الثواب بالطاعة فعلى هذا لا يجتمع الثواب والعقاب فى شخص واحد وأما عند أهل السنة فلا يبعد ذلك لان أهل النار من العاصين لا يخلدون فيها (قوله تعالى الا فى كتاب) معناه الا تغيرا كائنا فى كتاب أو الا انقصا ما كائنا فيه (قوله اشارة الى الحفظ) والحفظ يفهم من قوله الا فى كتاب اذ معناه الا فى كتاب محفوظ (قوله ويجوز الخ) الافعال المذكورة (ما هى يأكلون و يستخرجون و يرى الفلك وما دل عليه الافعال المذكورة هو الخلق فالمعنى وخلق ما ذكر وهو اللحم الطرى والحلية والمواخر لتبتغوا من فضله أو يقال المراد ما دل عليه الافعال المذكور تمكين الله للعباد فيما ذكر والمعنى مكنكم الله تعالى فى الامور

(ما استجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانفاع أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم (و يوم القيمة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا (والله هو الغني الحميد) المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد) بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم (وان تدع مثقلة) نفس أثقلها الاوزار (الى حملها) تحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شيء) لم تجب لحمل شيء منه نفي أن يحمل عنها ذنبها كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه (وأقاموا الصلوة) فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر من الاستمرار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصي (فانما يتزكى لنفسه) اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) فيجازيهم على تزكيهم (وما يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل (ولا الظلمات ولا النور) ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل ولا الحرور) ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما أنت بمسمع من في القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم (ان أنت الا نذير) فما عليك الا الانذار وأما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم (انا أرسلناك بالحق) محقين أو محقا أو ارسالا مصحوبا بالحق و يجوز أن يكون صلة لقوله (بشيرا ونذيرا) أي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) أهل عصر (الا خلا) مضى (فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل أو لان الانذار هو الاهم المقصود من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (و بالزبر) كصحف ابراهيم عليه السلام (و بالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع و يجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي انكاري بالعقوبة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها وأصنافها على أن

المذكورة لتبتغوا من فضله (قوله وتعريف الفقراء الخ) هذا كما تقول في العربية ان كون الخبر محلى باللام يفيد الحصر اذا كان المبتدا مقرونا به (قوله فانها لا تلائم نظم الكلام) لانه يدل على ان ذا القربى لا يحتمل اثم قريبه فالمناسب ان تجعل كان ناقصة حتى يكون له خبر واذا كان تامة فالمعنى ولو وجد ذو قربى فهو لا يحتمل (قوله لتغاير الوصفين) أي الزبور والكتاب المنير (قوله تعالى فكيف كان نكير) أي نكيري لهم شديد يستحق أن يستفهم عنه

كلا منهاذو أصناف مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) أى ذوجدد أى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذوجدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة * والمؤمن العائذات الطير يمسحها * وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله (ليوفيهم أجورهم) علة لمدلوله أى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عدد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر ان ويرجون حال من واو وأنفقوا (والذى أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى أحوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة فى ذلك الأمور الروحانية (ثم أورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه أو أورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى أوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الامة بأسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الأمم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى غالب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيآته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا

(قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على ما سبق من حيث المعنى فيكون المعنى ألم تر أن الله جعل من الجبال جددا بيضا كما قالوا فى قوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا انه معطوف على عنده علم الساعة من حيث المعنى اذ المعنى ان الله عنده علم الساعة ويعلم ماذا تكسب كل نفس غدا (قوله والمؤمن الخ) الظاهر ان الطير بدل من العائذات أو بيان لها لا أنه مفسر للطير المحذوف (قوله تعالى انما يخشى الله الخ) فان قلت ما وجه ارتباطه بما سبق قلت والله أعلم ان المراد انه اذا علمت ماذكر من قدرته الكاملة فاخش منه لانه انما يخشى الله من عباده العلماء (قوله حتى صارت سمة لهم الخ) أى حتى صاروا يذكرون بهذه الصفة (قوله أو الجنس) اى أو المراد من الكتاب جنس الكتب فيكون من للتبعيض

أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول الحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث أو الاصطفاء أو السبق (جنات عدن يدخلونها) مبتدا وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرأ أبو عمرو يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤا) عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم رحمهما الله عطفا على محل من أساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته أو من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد أتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد استعارها (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر يتمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قال عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب أو موت الاقارب (فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه أحوالهم (انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف (فمن كفر فعليه كفره) جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله أو لانفسهم فيما يملكونه (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى أى جزء من الارض استبدوا بخلقه (أم لهم شرك فى السموات) أم لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (أم آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من

(قوله على ان الضمير للعباد) أى على تقدير أن يكون المراد من الظالمين الكافرين لا يكون ضمير منهم راجعا الى الذين اصطفينا لان الظالم بهذا المعنى غير داخل فى المصطفين (قوله لان الظلم والركون الى الهوى مقتضى الجبلة) فان قلت هذا يناقض ما ورد فى الحديث ان كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه الخ قلت معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام والتوحيد أى لو قيل له الاسلام وعرض عليه لقبله لما أن العلم به مقتضاها والحاصل ان المولود خلق مستعدا للاسلام والتوحيد وهذا لا يناقض كون الجهل والركون الى المعصية مقتضى الجبلة لان كونهما مقتضى الجبلة معناه ان الشخص لو خلى وطبعه كان متصفا بهما فظهر ان الجهل والمعصية لا ينافيان فطرة الاسلام (قوله فان المراد بهما الجنس) فيكون فى مرجع الضمير كثرة تصلح لان يكون الضمير المذكور راجعا اليه لان الجنس شامل للكثير (قوله العمر الذى الخ) أى لم يبق له موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر (قوله بيان له) أى قوله تعالى ولا يزيد الكافرين الخ بيان لقوله تعالى فعليه كفره (قوله باقتضاء قبحه) اى باقتضاء قبح الكفر (قوله الجوابين) هما

ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا) لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف الاخلاف أو الرؤساء الاتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) كراهة أن تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد) ما أمسكهما (من بعده) من بعد الله أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم) وذلك أن قريشا لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الأمم أي من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التي يقال فيها هي احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) يعني محمدا عليه الصلاة والسلام (مازادهم) أي النذير أو مجيئه على التسبب (الانفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا في الارض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيء) أصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم أضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيء الا بأهله) وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أي ولا يحيق الله (فهل ينظرون) ينتظرون (الاسنت الاولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ) ليسبقه ويفوته (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قديرا) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ماترك على ظهرها) ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

﴿ سورة يس ﴾

مكية وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يس) كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيء على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في أيمن وقرئ بالكسر كجير و بالفتح على البناء كأين أو الأعراب على اتل يس أو باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف و بالضم بناء كحيث أو اعرابا على هذه يس وأمال الياء حمزة والكسائي وروح وأبو بكر وأدغم النون في واو (والقرآن الحكيم) ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش و يعقوب وهي واو القسم أو العطف ان جعل يس مقسما به (انك لمن

المرسلين)

جواب القسم والشرط (قوله هي احدى الامم الخ) فهذا كما يقال هو واحد القوم وواحد المصر أي أفضلهم (قوله ومكر السيء أصله الخ) الاولى أن يقال أصله المكر السيء حتى يكون المعنى مازادهم الا المكر السيء ثم أضيف الموصوف الى الصفة كما في مسجد الجامع

﴿سورة يس﴾

(قوله على أن أصله) أي على ان تنزيلا على معناه الحقيقي لكونه مفعولا مطلقا لا ان يكون بمعنى المنزل كما تقدم فيكون أصل التركيب ينزل تنزيل العزيز الرحيم فحذف الفعل وأبقى تنزيلا على مصدريته

المرسلين) لمن الذين أرسلوا (على صراط مستقيم) وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز أن يكون على صراط خبرا ثانيا أو حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة وان دل عليه لمن المرسلين التزاما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار أعنى أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين (ماأنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله أو الذى أنذر به أو شيأ أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاول أى لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى أى أرسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون (لقد حق القول على أكثرهم) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (فهم لايؤمنون) لانهم ممن علم الله أنهم لايؤمنون (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لاتغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى أذقانهم فلاتخليهم يطأطؤن رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لايلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولايطأطؤن رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون) وبمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لايبصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشاء وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف أبوجهل أن يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) سبق فى البقرة تفسيره (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو فى سريرته ولايغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيي الموتى) الاموات بالبعث أو الجهال بالهداية (ونكتب ماقدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم (وكل شئ أحصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد أى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا أصحاب القرية) على حذف مضاف أى اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام الى أهلها واضافته الى نفسه فى قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما فعززنا) فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به (بثالث) وهو شمعون (فقالوا انا اليكم مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه

(قوله أو بمعنى لمن المرسلين) انما قال بمعنى لمن المرسلين أى بما استفيد منه وهو انه صلى الله عليه وسلم مرسل اذ لايصح تعلقه بلفظ من المرسلين اذ المرسلون جميع الرسل والخطاب فى لتنذر مخصوص به صلى الله عليه وسلم (قوله أو بمن أحاط بهم) عطف على بالذين غلت أعناقهم (قوله فى أنهم الخ) متعلق بقوله بتمثيلهم أى بتشبيههم بالذين غلت أعناقهم فى أنهم لايلتفتون الخ (قوله فى أنهم محبوسون الخ) بيان وجه الشبه وههنا نظر وهو ان وجه الشبه يجب أن يكون مشتركا لكن عدم الالتفات الى الحق ليس صفة للمغلولين اذ المغلول قد يكون له الالتفات الى الحق وانما منع من الالتفات الحسى وامالة العنق وكذا الحبس فى مطمورة الجهالة ليس صفة لمن كان بين السدين فالاولى أن يقال انهم مشبهون بالمغلولين فى عدم تحقيق ماينبغى لهم وادراكهم ما ينفعهم أو يضرهم وقس على ماذكرنا التشبيه الثانى

والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال حتى أنظر فى أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس لى عنك سر آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا الله فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك من هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) لا مزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى ورسالة (ان أنتم الا تكذبون) فى دعوى الرسالة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم (وما علينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرئ طيركم معكم (أئن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بألف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وأن بغير الاستفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ) لا تنفعنى شفاعتهم (ولا ينقذون) بالنصرة والمظاهرة (انى اذا لفى ضلال مبين) فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وأبو عمرو بفتح الياء (انى آمنت بربكم) الذى خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (فاسمعون) فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما

قتلوه

(قوله وهو المحسن للاستشهاد) لان مجرد الاستشهاد بعلم الله فى النبوة غير نافع أى ما فى علم الله غير معلوم الا اذا أتى ببينة (قوله وأين ذكرتم الخ) أى قرئ أين بكلمة الاستفهام وذكرتم بتخفيف الكاف (قوله ولذلك) أى لأجل ان المراد توبيخهم وتقريعهم على ما ذكر قال واليه ترجعون اذ لو لم يكن كذلك لوجب أن يقال واليه ارجع

قتلوه بشرى له بأنه من أهل الجنة أو كراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطا عظيم فى أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرّمين وماخبرية أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى بأى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه أو رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (وما كنا منزلين) وما صح فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة (ان كانت) ما كانت الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها أن تحضرى فيها وهى مادل عليها (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره بالهاء على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام (أنهم اليهم لايرجعون) بدل من كم على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء وأن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون (وآية لهم الارض الميتة) وقرأ نافع بالتشديد (أحييناها) خبر للارض والجملة خبر آية أو صفة لها اذ لم يردبها معينة وهى الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو استئناف لبيان كونها آية (وأخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم مايؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) أى شيأ من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة

(قوله بشرى الخ) أى هذا القول له على أحد الوجهين اما بشارته بأنه من أهل الجنة يدخلها بعد ذلك واما الاذن بدخول الجنة حين القتل كسائر الشهداء (قوله وجعلنا ذلك الخ) أى جعلنا انزال الجنود من السماء سببا لانتصارك من قومك تعظيما لشأنك (قوله على سبيل الاستعارة لتعظيم الخ) أى استعير الحسرة للتعظيم المذكور (قوله ياحسرتا) لانه فى الاصل ياحسرتى (قوله وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف) فيكون التقدير مثلا ياأيها المؤمنون احسروا حسرة على العباد (قوله تعالى انهم اليهم لايرجعون) أى لايرجع بعضهم بعد أن ماتوا الى بعضهم الاحياء (قوله على المعنى) انما قال ذلك لان كم أهلكنا جملة تامة وأنهم اليهم لايرجعون مفرد فى الحقيقة فناسب أن تؤول الجملة بالمفرد حتى يناسب البدل (قوله اذ لم يرد بها معينة) أى لم يرد بالارض أرضا معينة حتى تكون معرفة فلا تتصف بجملة أحييناها بل المراد فرد من أفراد الارض غير معين (قوله وهى الخبر) أى الارض خبر للآية

عند الاخفش (ليأ كلوا من ثمره) ثمر ماذكروهو الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة أحسن من غيرها (أفلا يشكرون) أمر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) وأزواجا مما لم يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ماسبق (فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد فيها ابطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال * والشمس حيرى لها بالجو تدويم * أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) قدرنا مسيره (منازل) أو سيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا (لا الشمس ينبغى لها) يصح لها و يتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول الى محله أو سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما أريد بها (ولا الليل سابق النهار) يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران و بالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات أو للكواكب فان ذكرهما مشعر بهما (فى فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم فى السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (فى الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه أبلغ فى الامتنان وأدخل فى التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من

(قوله ثم لا تعود اليهما الخ) فيه نظر لانه اذا كانت الشمس فى التاسع والعشرين من القوس كان مشرق ثم اذا كانت فى الدرجة الثانية من الجدى كان مشرقها ذلك المشرق المعين مع ان بينهما يومين اليوم الذى كانت فيه فى أول الجدى واليوم الذى فى آخر القوس (قوله كالشمراخ) هذا مخالف لما فى الكشاف والصحاح قال فى الكشاف العرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ما ذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السبق ملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى الفلك المشحون) لعل فائدة ذكر المشحون انه اذا صار مشحونا كانت المشحونية لا تناسب خلاص الغرق ولذا اذا وقع الطوفان يخلو الفلك من الامتعة و تلقى فى البحر

مثل الفلك (مايركبون) من الابل فانها سفائن البر أومن السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أوفلا اغاثة كقولهم أتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) ينجون من الموت به (الارحمة منا ومتاعا) الالرحمة ولتمتيع ابالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم (واذاقيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم) الوقائع التى خلت لو العذاب المعد فى الآخرة أونوازل السماء ونوائب الارض كقوله أولم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض أوعذاب الدنيا وعذاب الآخرة أوعكسه أوماتقدم من الذنوب وماتأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذاقيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم (قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له (ان أنتم الا فى ضلال مبين) حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز أن يكون جوابا من الله لهم أوحكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ماينظرون) ماينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم أمرها كقوله أوتأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرأ أبوبكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله (فلايستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (ونفخ فى الصور) أى مرة ثانية وقد سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (فاذاهم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا ياويلنا) وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها فى سائر القراآت حسن (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية أوموصولة محذوفة الراجع أوهذا صفة لمرقدنا وماوعد خبر محذوف أومبتدأ خبره محذوف أى هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون أوماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة أوالمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها ان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال (ان كانت) ما كانت الفعلة (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الا ما كنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكيناله فى النفوس وكذا قوله (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) متلذذون فى النعمة

(قوله المعطلة) هم الذين نفوا وجود الصانع تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله وفيه ترشيح) أى ترشيح لمرقد فانه مستعار من محل النوم والبعث والهبوب الذى هو الانتباه من النوم مناسب له

من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على أنه أعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز أن يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وأزواجهم في ظلال) جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل (على الارائك) على السرر المزينة (متكئون) وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة أو خبر ثان أو متكئون والجاران صلتان له أو تأكيد للضمير في شغل أو في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وأزواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه أو ماينداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على أو مايدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة أو موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله (سلام) بدل منها أو صفة أخرى ويجوز أن يكون خبرها أو خبر محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر أو الحال أي لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) أي يقول الله أو يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير أو تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولا يرى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة بني تميم (انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وأن اعبدوني) عطف على أن لاتعبدوا (هذا صراط مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم أو الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أو بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم أو للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له أدنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال (هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا (اليوم نختم على أفواههم) نمنعها عن الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها أو انطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف (فأنى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه

(قوله أو متكئون) أي يكون الخبر متكئون والجاران في ظلال وعلى الارائك صلتان لمتكئون (قوله أو تأكيد للضمير في شغل الخ) أي يكون هم تأكيد الضمير المذكور وعلى الأرائك متكئون خبر آخر لان قوله في الاحكام الثلاثة التي هي في شغل وفاكهون ومتكئون (قوله أو ما يتداعون به الخ) ومعناه أن كل مايصح أن يدعو صاحبه اليه او يطلبه أحد من صاحبه فهو حاصل (قوله ويجوز ان يكون خبرها) أي يجوز أن يكون سلام خبر ما والمعنى مايدعون لهم سلام (قوله وأحهد واحد الخ) قال الطيبي قرئ بالحاء مكان العين وبحاء مشددة على الادغام والقلب وهي لغة تميم (قوله سلوك بعض الطريق المستقيم) لان كل مايجب اعتقاده طريق مستقيم وهو أمر متعدد رأسها التوحيد (قوله لان الغني) أصله الغنوى فعول كالدخول قلبت الواو لاجتماعهما وسكون أولهما وأدغم ثم كسر ماقبلها للمجانسة

وقرأ أبو بكر مكاناتهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم أحقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه في الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على أصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر (أفلا يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدريج وقرأ نافع برواية ابن عامر وابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها (وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان أراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت اتفاق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أي وما يصح للقرآن أن يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله تعالى (وقرآن مبين) وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فهما فان الغافل كالميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث (أنعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون لها بتمليكنا اياها أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) أي ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام (أفلا يشكرون) نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف أمكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون اثرهم في النار (فلا يحزنك) فلا يهمك وقرئ بضم الياء من أحزن (قولهم) في الله بالالحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) تسلية

(قوله منافاة) أي منافاة انكار الحشر مع ابتداء الخلق لان انكار الاهون يدل على انكار الاقوى (قوله أن يكون تفسير قوله تعالى أن يقول له كن) فالمعنى ما أمره اذا أراد تكوين شئ الا تكوينه فيكون بلا توقف

ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ماهو أهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من أخس شئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى أن أبى بن خلف أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيى هذا بعد مارم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه (وضرب لنا مثلا) أمرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى أو تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها أو احداث مثلها (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار (فاذا أنتم منه توقدون) لاتشكون فى أنها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (أوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما أو مثلهم فى أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر (بلى) جواب من الله تعالى لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) فهو يكون أى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للامر كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضى الله عنه كنت لا أعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه بهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وأيما مسلم قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

﴿تم الجزء الرابع من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الخامس وأوله سورة الصافات﴾

﴿فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام البيضاوى﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

١٥٣

﴿ الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ﴾

ان أصدق لهجة حكمية وأسنى سياسة شرعية هي الاحاديث النبوية والكلام المنسوب للحضرة المصطفوية وأشمل كتاب جمع من الاحاديث الرقائق وصفا من الموضوعات التي لا يدركها الا من حاز من العلوم الحديثية الدقائق كتاب الجامع الصغير وكتاب زيادة الجامع الصغير خاتمة المحدثين ومرجع الفضلاء المتأخرين العلامة الشيخ عبد الرحمن السيوطي رحمه الله وأثابه رضاه ولما كان هذان الكتابان من وادواحد في الترتيب وهما لمؤلف واحد وشرطهما واحد في البداية والتعقيب رأى حضرة علامة الزمان ودرة جيد هذا الأوان القدوة الفاضل الشيخ يوسف النبهاني حفظه الله وأدام علاه ان هذين الكتابين جمع فيهما من الاحاديث مالم يجمع في كتاب وأتى فيهما من الحكم النبوية بلباب اللباب ورأى فيهما بعض اختلال في الترتيب فقدم ماحقه التأخير ووضعت بعض الاحاديث في غير مواضعها على حسب ماشرط من التبويب فرأى حفظه الله على حسب طبعه الكريم من السعي وراء المنفعة العموميه والخدامات للحضرة النبويه أن يجمع هذين الكتابين في كتاب وينقح ترتيبهما على مقتضى شرطهما المستطاب ويميز أحاديث الزياده من الجامع برمز (ز) في الحرف المخصوص في كل باب فجاء سفرا لم يسبق مثله كتاب وسماه الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ولتعم المنفعة جميع الطبقات ويجسر على الاستفادة والقراءة من لم يتقن العربية ولم يحسن تلك الادوات ضبطه بالشكل التام ليعم النفع جميع الأنام وقد جاء الكتاب في ثلاثة مجلدات ضخام وقد شرعنا في طبعه اتماما للنفع العام وقد نجز منه الجزء الاول وبمعونته تعالى يتم الباقي على أحسن نظام وتستكمل شمسه التمام

4592